الدكتور محمد الأمين بلغيث
جامعة الجزائر

الجزائـر في باندونغ

مذكرة الشَّاذلي المَكِّي إلى المؤتمر

دار كتاب الغد
الجزائر 1428هـ/2007م

الطبعة الأولى

ردمك

الإيداع القانوني

جيجل، الجزائر 1428هـ/2007م.
هاتف /فاكس

الإهداء

أُهدي هذا الكتاب إلى كل من شاركني همومي
لتصــــحيح وضع شـــاذ أحسست منذ البداية أن كل

جزائري غيور على أمته ووطنه ولغته ودينه؛ لا يختلف معي في أن هناك: **ما أهمله...التاريخ**.

ومن الــذين أهملهم التــاريخ **الأستاذ المناضل الشاذلي المكي**، فإلى روحه الطاهرة، أهـدي هـذه المــذكرة الــتي أجد فيها روحه وقلمه وكلماته الــتي أقرأها كل يــوم في وثائقــه، وأقــول ما قــال أحد المسؤولين السابقين المشيعين لجثمانـه- كما سـجل الصحفي النبيه **محمد عباس**- أقـول: **"كلنا يعـاني من عقدة الذنب تجاه المرحوم**".

كما أهـدي هـذا العمل إلى أبنـاء وأحفـاد **الشـاذلي المكي**، خالد، محمد، سمية، **الشاذلي بن خالد**.

المؤلف/الدكتور محمد الأمين بلغيث

المحمدية(الجزائر) المحروسة23 1427هـ/ 13 يناير 2007**م.**

بسم الله الرحمن الرحيم

1 **مقدمة الكتاب**

حينما انطلقت ثورة نوفمبر المباركة،كان بيان أول نوفمبر **1954**م ميثاقًا جديدًا استمد أصوله من مفاتيح الحركة الوطنية الاستقلالية التي أسس قواعدها وأبرز مفاهيمها كل من الشيخ المجاهد **صالح الشريف الجزائري(1862-1920)، الأمير خالد وأحمد مصالي الحاج**(16 ماي 1898م -03 جوان **1974**م)،في هذه الفترة الحرجة من التغيرات الإقليمية كانت مصر في عهد عبد الناصر تبحث عن جناح في المغرب العربي لتدعيم زعامتها وهذا لا يتسنى لها إلا بكسب رموز الوطنية الجزائرية وقياداتها المعروفة التي لن تخضع لأي مساومة من أي كان. هذا ما جعله لا يجد في مصالي الحاج ولا في أحمد مزغنة ولا في **الشاذلي المكي** ولا حتى في محمد خيضر الذي يعتبر أهم شخصية في القاهرة من بين الثلاثي المعروف الذين يمثلون جبهة التحرير الوطني وهم محمد خيضر، حسين آيت أحمد وأحمد بن بلة، ونعيد التساؤل، ما هي المميزات الشخصية التي يتمتع بها أحمد بن بلة حتى وقع اختيار المخابرات المصرية عليه من طرف فتحي الديب حتى يقدمه لرئيسه جمال عبد الناصر!؟.

إن أجهزة المخابرات لها الباع الطويل في دراسة الشخصية من جميع الجوانب فإن شخصية

أحمد بن بلة لا يختلف فيها اثنــان إنه قابل لأن يكــون لعبة في أيــدي الأذكيــاء، وهو ما ســجله الســيد علي كافي في مذكراته في عنــوان عــريض: "دوافع لجــوء هيئة الأركــان إلى المســجونين الخمسة، يقــول: "في صــائفة **1959** تقــابلت مع بومــدين في الربــاط عنــدما كنت أقوم بجولة في المغرب.وخلال إحدى محادثــاتي معه قال لي:" لقد قيل عنك كلام كثـير أثنـاء جــولتكم في الشــرق استخلصت منه أن كــريم(بلقاســم) قد أرجعك إلى صــفه" ومثل هــذا الكلام لا يصــدر إلا عن شخص سكنته وملكته معادلة السلطة"[1].

ابتداء من عام 1961، بـدأ بومـدين يبحث عن تحالف مع القادة المسـجونين في فرنسـا.فهو يعـرف اعتراضــاتهم على الحكومة المؤقتة كما أن اعتقــالهم جعلهم بعيــدين عن المســاومات.ويعــرف أيضًــا أنه سيكون في حاجة-عندما يحين الوقت المناســب- إلى منفذ مقبــول، فأرسل عبد العزيز بوتفليقة تحت اسم إدريس بوخرطة إلى قصر توركـــــــان (Turquant) في اتصـال أول كـان بومـدين يعتمد على محمد بوضـياف ولكن بعد عودة مرسوله(بوتفليقة) قرر اســتعمال بن بلـــة، فبومــدين يعــرف أنه بـــدون ثقل سياسي فلن يحقق طموحه في الســـلطة-خلافًا لبوضـــياف الرجل القــوي، الــذي لا يتنــازل عن قناعاته بســهولة، صــارم وقــوي في مبادئــه-لهــذا كــان بومــدين في حاجة إلى شخصية تُحــرك بســهولة ويتخلص منها عنــدما لا تبقى الحاجة إليها[2].

وهو ما يلاحظه القارئ الذكي لمذكرات ووثائق رئيس المخــابرات المصــرية فتحي الــديب في كتابــه:"عبد الناصر والثــورة الجزائريــة"، ومن الشــهادات الــتي

اسـتقيناها عند المناضـلين والطلبة الجزائـريين الـذين كــانوا بالقــاهرة في تلك الفــترة، كان فتحي الــديب يعمل على التـــأثير على النخبة الجزائرية الموجـــودة بالقــاهرة فاســتدعى **الشــاذلي المكي** إلى مكتبه ليحذره من خطورة ذهابه إلى **بانـدونغ** ممثلا **لجبهة تحرير الجزائر** الــتي سنشــير إلى وثائقها وميثاقها في القسم

---

(1)-الرئيس علي كافي، (مــذكرات)من المناضل السياسي إلى القائد العســكري (1946-1962)، دار القصــبة للنشـر الجزائر **1999**م ص:**282**.

(2)- علي كافي، المذكرات، ص:282.

الثــاني من هــذه المقدمة والمتعلق بخطــاب الحركة الوطنية الاستقلالية، وذلك في صـراع الشـرعيات في بداية الثـــورة الجزائريـــة. فكـــان جـــواب الشـــاذلي المكي:**"إن أمــرك هــذا أعطيه لبوابــك، أما أنا فالأمر يأتيني من الشعب الجزائري ولا أأتمر بغــيره"**[3] وعليه وجد الشــاذلي المكي صــعوبة في الحصـــول على الوثـــائق اللازمة بما فيها التأشـــيرة للــذهاب إلى إندونيســيا، لكن كما يعرفه المناضــلون، فالرجل لا يمكن الوقوف في وجهه أمام تحقيق هدفه السامي الذي يسعى إليه، وهو إيصـال صـوت الجزائر الــذي لم يخضع للســلطة المصــرية من خلال هيمنتها على الجامعة العربية في عهــدة أمينها العــام الجديد عبد الخالق حسونة الذي لم يكن إلا أداة طيعة في يد المخــابرات المصــرية عكس الأمين العــام الســابق صـــاحب الشخصـــية القوية **عبد الـــرحمن عـــزام باشا**.ولأن **الشــــاذلي المكي** من جيل مكــــافح لا تقف في وجهه العراقيل فقد عرف المجتمع المصري

ونخبته السياسية والثقافية منذ أن وصل إلى القـاهرة في 20 أكتوبر 1945م "بعد أن شارك ونظم مظـاهرات 8 ماي 1945م التي عمت الـتراب الوطـني وخاصة في الجهة الشرقية التي كان مسؤولا عليها ضمن فأصــبح مطلوبا من السلطات ـــــــ

(3)-هـذه شـهادة نجل الشـاذلي، خالد مكي كما سـجلتها قبل وفاته رحمـــة الله تعـــالى عليهمـــا.وعن شخصـــية الشـاذلي المكي كما تصـوره الـدوائر الاسـتعمارية وهـذا حينما فضح الـدوائر الاسـتعمارية بمـذكرتين الأولى عـام 1948 والثانية عام 1951م. انظر:
Gouvernement Général de L'Algérie, service d'information et de Documentation), Réponse au factum de Mekki Chadli .sur la question Algérienne, 1951.80 pages

الاســتعمارية وشــهرت به الصــحف والجرائد وحُمِّلَ تهمة التحريض والتدبير لهذه المظـاهرات فحكم عليه بالإعدام غيابيا ووضعت مكافأة كبيرة لمن يأتي به حيًّا أو ميِّتاً، ومقدارها (5 مليون فرنك قديم)[4].

جاءته التعليمـــات من الجزائر العاصـــمة عن طريق الـــدكتور محمد الأمين دبـــاغين بالتوجه فـــورًا إلى المشـرق العـربي ليمثل الحركة الوطنية الاسـتقلالية ممثلة في حزب الشعب الجزائري، وبالتالي كـان أول ممثل للجزائر في الخـــارج وتـــزامن ذلك مع إنشـــاء جامعة الدول العربية، ومن هناك بدأ ينسج شـبكة من العلاقات المتينة مع كبار قادة الشرق الأوسط انطلاقا من القاهرة ومع الشـرق الأدنى بما فيهم جـواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وظفر الله خـان وزير خارجية

باكســـتان وأحمد ســـوكارنو رئيس إندونيســـيا ووزير خارجيتها كمــــا لا يفوتنا أن ننبه أن الشــــاذلي المكي سبق له أن شارك في مؤتمر العالم الإسـلامي لسـنة (1949 وســـنة 1951م) بكراتشي بباكســـتان، هـــذا ما يجعله يعرف الطريق مسبقا للوصول إلى باندونغ.

والشيء الـذي غـاب في الدراسـات الحديثة الجزائرية والأجنبية أن الشــــــاذلي المكي قد تنوسي ذكر أخباره وأعماله في باندونغ ونحن اليوم بين أيدينا وثيقة أساسـية نـادرة تتمثل في المـذكرة التاريخيـة، السياســـية والدبلوماســـية الـــتي نعمل على إبـــراز خطوطها العريضة والأفكـــار الأساســـية الـــتي تحملها هـذه الشـهادة الـتي تظهر حقيقة ما كـان يجـري في بداية الثورة

---

(4)-محمد الأمين بلغيث، **تـــــــــــــــــــاريخ الجزائر المعاصر،دراسات ووثائق، وثـائق جديـدة وصـور نادرة تنشر لأول مرة**، بـيروت، دار ابن كثـير، الجزائر دار البلاغ للنشر والتوزيـع، **2001**م.ص:151.محمد عبـاس، **نداء ...الحق**، (شـهادات تاريخيـة) الجزائـر، دار هومـة، 2001م.ص:10.

التحريرية المباركة بعيدًا عن المزايـــدات والنرجســـية التي يتسم بها بعض التاريخيين.

وحسب رواية السيد **محمد يزيد** فإن الشاذلي المكي قد سافر أولا إلى باكسـتان ومن هنـاك تحصل على تأشـيرة الـدخول إلى إندونيسـيا الـتي لم يتمكن من الحصول عليها في القاهرة بضغط من السـلطات المصرية، و**"أن الشاذلي المكي لم يقـترب من المؤتمر قط"**.

وسأبدأ أولا بمسألة في غاية الأهمية للتـاريخ ولتصــحيح الصــورة الحقيقية عما وقع فــإن الســيد **محمد يزيد** كما جاء في شهادته كـان من بين الـذين أمـروا السـلطات الإندونيسـية بعـدم السـماح للسـيد الشـــاذلي المكي بالحضـــــور إلى قاعة المـــــؤتمر الأفروأسـيوي، وحجـزه في الـنزل ولكن الرواية الـتي بحوزتنا تقـول عكس ذلـك، حيث أن الشـاذلي المكي هو الوحيد الـــذي دخل قاعة المـــؤتمر ضـــمن الوفد الســــوداني برئاسة رئيس الـــــوزراء **إســــماعيل الأزهـــري** الـــذي كـــان يـــدرس في القـــاهرة في الأربعينيات، وفي نفس الوقت يناضل من أجل قضـية بلاده السودان التي كانت تحت الحكم الإنجلـيزي فهو إذن صداقة قديمة للشـاذلي المكي، ونحن اليـوم في 17 أفريل 1955م والسـودان ما زال لم يأخذ اسـتقلاله التام الذي سيتقرر في فـاتح جويلية 1955م. في هـذه الأيام كانت مصر عبد الناصر ما زالت تطمع في اتحاد فـدرالي مع السـودان كل هـذه الأسـباب الـتي ذكرنا منها شخصـــية الشـــاذلي المكي المســـتقلة وعـــدم خضـــــوعه لمصر عبد الناصر ودخوله ضـــــمن وفد السـودان في مـؤتمر الـدول الأفروأسـيوية هـذه كلها ستجني عليه بعد شهرين كـاملين فأدخلته المخـابرات المصرية -كما تذهب إلى ذلك بعض الشهادات-بتواطؤ مع **الـــرئيس أحمد بن بلة** إلى الســـجن الحـــربي بالقـاهرة في نفس السـجن الـرهيب الـذي غيب فيه **جمال عبد الناصر** خـيرة شـباب مصر من الإخـوان المســلمين. لكن فتحي الــديب يســتدرك هــذا الأمر فيقول أنه وضع بمعية **أحمد مزغنة** في مكان مريح، وهل الراحة أن تسـجن مناضلا في قصر والجزائر في

أمس الحاجة إلى كل أبنائهـا، والشـاذلي المكي أقـدر هـــــــــــــؤلاء جميعًا على تفهم الوضع السياسي والدبلوماسي بالقاهرة. لقد كان دور الدولة المصـرية في عهد عبد الناصر واضـحًا في تعاملها مع أصـحاب الاتجاه الإسلامي في الحركة الوطنية الجزائرية وثورة التحرير وهو ما يتضح جليا من خلال **مــــــــــذكرات توفيق محمد الشـاوي** صـديق الثـورة الجزائرية الذي عمل مع زعماء جبهة التحريـر، وتجنب صـدامهم مع مصالي الحـاج ولم يكن بد من التصـادم لأن مصر عبد الناصر لا تثق في الزعمــــاء مثل الإبـــــراهيمي، والـورتلاني، وأحمد مزغنة وغـيرهم ويـأتي على رأس من تتهمه القـاهرة بـالتحريض والتـآمر على الثـورة **المناضل الشاذلي المكي** الـذي سـيحمل مـذكرة جبهة تحرير الجزائر من القاهرة إلى مـؤتمر بانـدونغ، والثـــابت كما يـــؤرخ لها الـــدكتور أبو القاسم ســـعد اللــه:"أن من يطــالع بيــان أول نوفمــبر ســنة 1954، يلاحظ بـــدون شـــك، أن هنــاك غيابًا لمبــادئ جمعية العلمـاء الـتي رسـمتها للجزائر ماضـيا ومسـتقبلا.كما يلاحظ أن البيـان لا يجيب على بعض النقـاط بوضـوح كالهوية والإســـــلام والعروبـــــة، وأنه ليس ميثاقًا أو عريضة مرجعية ذات فلســفة وتصــورات حضـــارية، وإنما هو وثيقة سياسية-صـحفية كتبت فيما يبـدو على عجل وصـيغت في عبـارات بسـيطة وعمليـة.وكيف نتوقع أن يتبـنى الشـيخ الإبـراهيمي ذلك البيـان على علاتــــه، وهو الأديب النــــابغ والممثل الرمز لجمعية أخــــذت على عاتقها اســـترجاع الشخصــــية العربية الإسلامية للجزائر؟نقول هـذا لكي يكـون مفهومًا عند من لم يفهم بعد لمـــاذا احتضن الشـــيخ الإبـــراهيمي

الثـــــــــــورة من أول وهلة ولم يفعل ذلك مع جبهة التحرير.ولكي يكـون مفهومًا أيضًـا أن بضـعة أسـابيع، وربما بضعة أشهر، قد مرت خلال سنة 1954، دون أن يربط كل الجزائريين اسم الثورة باسم جبهة التحرير، والمعروف أن المسألة ظلت في الخـارج، بـدون حل إلى مـارس 1955م عنـدما تكـونت في القـاهرة جبهة أخرى سميت(جبهة تحرير الجزائر)، حضـرها ممثلـون عن كل الاتجاهـــــات الوطنيـــــة، بما فيها وفد جبهة التحرير الوطني ويبدو أن الشـيخ الإبـراهيمي قد لعب دورًا أساسيا في تكوين جبهة تحرير الجزائر المذكورة وفي لملمة أطـــراف كـــانت متباعـــدة مثل ممثلي مصـــالي الحـــاج، وممثلي مكتب المغـــرب العـــربي وممثلي جمعية العلماء وقد جـاء في البيـان الصـحفي الصـــادر عن مكتب جمعية العلمـــاء بالقـــاهرة في 21 مارس 1955م بعد توضـيح التفاصـيل مسـؤولية هـؤلاء تجاه ما يحدث بعد اندلاع الثـورة في الجزائـر.[5] ومن بين هؤلاء الشاذلي المكي المحسـوب على مصـالي،- وإن أشـار سـعد الله بـذكاء إلى أنه من ممثلي مكتب المغرب العـربي بالقـاهرة- وإن كـان للرجل خصـومة مع حزبه تعـــود إلى ما قبل انـــدلاع الثـــورة أي منذ **1952م** حيث عزل من تمثيله لحزب الشعب الجزائري وتعويضه بمحمد خيضر وحسين آيت أحمد ، بعد زيارة الزعيم مصالي الحاج للقـاهرة على إثر أدائه لفريضة الحج برفقة الشـاذلي المكي كما شـاركت في عزله اللجنة المركزية للحـزب، وعلى رأسـها بن يوسف بن خدة، وأحمد بـودة وأحمد مزغنـة؛ فحسب الشـهادات والدراسـات التاريخيـة، فعـزل الشـاذلي المكي يعـود لمسألة تأديبية.

رغم الدور الكبير الذي قـام به وهو بعيد عن الأحـداث للجمع بين الأخـــوة الأعـــداء.ومثل حســـين الأحـــول ومحمد يزيد المركـــزيين وحســـين آيت أحمد ومحمد خيضر وأحمد بن بلة (جبهة التحرير الوطني) والشـيخ بيـوض عن البيـانيين كما هو موجـود في ميثـاق جبهة تحرير الجزائر.

---

(5)- محمد البشـــير الإبـــراهيمي، **في قلب المعركة**، تصدير أبو القاسم سعد اللـه،الجزائـر، دار الأمـة، 1417هـ/ 1997م.ص:7.فتحي الــــــديب، **عبد الناصر وثـــــورة الجزائر**،القـــاهرة، دار المســتقبل العـــربي، 1984م.ص: 68.محمد الأمين بلغيث، **تـــاريخ الجزائر المعاصر**، ص:151.

ولكن ما يهمنا بعد هذا التوضيح ماذا قدمت الوثيقة أو المـــذكرة، وهل وصـــلت إلى المـــؤتمرين، ولماذا لا نجد صدى هذه المذكرة في أخبار ومذكرات الفـــاعلين السياســـيين بعد مـــرور ما يزيد عن نصف قرن على اندلاع الثـورة الجزائرية المباركـة، يبـدو أن الإجابة على هـذه الأسـئلة المشـروعة يـدخل ضـمن الــتزوير الــذي تعرفه بعض الكتابــات العاطفية الــتي تســعى إلى كسب الجــاه والســلطان، دون الاعتبــار بالظلم الذي أطال الكثـير هـذا يتطلب شـجاعة وجهد كبير لاكتشاف الصراع الـذي عرفته الثـورة، والـذي لا يـزال يشـكل عند الكثـير مرجعيـة، لأننا لم نتمكن من الاستماع إلى بعضنا البعض، حتى في أبسط مشـاكلنا الوطنية، لهذا كلما زاد الغمـوض، انتشـرت الـدعايات المغرضة المشوهة لمســيرتنا، ولكي نتمكن من وضع القاطرة على السكة، يحتاج المؤرخ قبل غيره البحث في جذور الصراع بين النخب، حتى نجنب الجزائر، ما

وقع وما يقع لنا من تـــــــدمير وتشـــــــكيك في هويتنا وعظمة وخلود ثورتنا.

و**الشـــاذلي المكي** كما يصـــفه **المرحـــوم عمـــــــار النجـــــار** في مرحلة توليه جمعية الطلبة الجزائـريين الزيتونـيين(1935-1939)"كتلة من الإخلاص ومجموعة من الفضـــائل والمكرمات وآية من آيـــات العبقرية والـذكاء ورمـوز للتحفز والنشـاط.ومجمـوع هذه الصفات هي الدعائم الكبرى لنجـاح كل مشـروع ووصوله إلى الهدف الأسمى؛فإخلاصه أوجب عليه أن يشـــقى ليســـعد الطلبة ويتعب ليســـتريحوا وجرأته النــادرة ألزمته بــأن يمضي بالجمعية قــدمًا ولا يلتفت لمن ديـــــــدنهم التثبيط والعرقلة ودأبهم الانتقـــــــاد والمعارضة، وذكـاؤه المفـرط وألمعيته الفائقة كلفـاه بتوسـيع فكـرة الطـالب، وتغذية روحــه، فكـان يعقد الاجتماعــــات الأســـبوعية يتمـــرن فيها الطلبة على الخطابة والارتجـــال مما كـــان له النتيجة الكــــبرى والثمرة اليانعة، حتى إذا رجع الطالب الجزائــري وجد في نفسه اسـتعدادًا لمكافحة الضـلالات الـتي كـانت سائدة على الشـعب الجزائـري في ذلك الحين...هـذا إلى الاجتماعات العامة التي كان يعقدها لكل مناسـبة وتتجلى فيها مقـدرة الطـالب الجزائـري ويتمـيز فيها اجتهـاده وذكـاؤه معًـا، مما جعل الأسـاتذة والشـيوخ ينوهون بمقدراتهم وكفاءتهم، ويكادون يحصرون هـذه الثلاث؟الجد والمواظبة والــــذكاء ...فــــذلك التوجيه الصــالح والســلوك الحســن، يكفيــان لاعتبــار أخينا **الأستاذ الشـاذلي المكي** مضـحيا وعـاملا ومبلغًـا، وتعتبر الجمعية أعظم نموذج للاحتـذاء والإقتـداء على أن عمله لم يكن في داخل الطلبة فحسب، بل تعـدى

إلى المحيط الخـارجي فكـان يكتب المقـالات الرنانة في الصـــحافة التونســـية يبعثها كزفـــرة على أمته المنكوبـــة، أو كتمجيد لأعمــال رجــالات الجزائر على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم في الحياة.

وكـان ينتهز فرصة وجـود الأسـتاذ **عبد الحميد بن بـاديس** في تـونس فيقيم له الاحتفـالات.وكـان الفقيد يلقنه المثل العليا ويريه من نفسه نمـــــــاذج مثلى.

أما اتصـــاله بالجمعيـــات فلم تكن جمعية من الجمعيـات إلا وكـان له معها أوثق الصـلات وخصوصًـا جمعية الشبان المسلمين.

نذكر هذا، ودليلنا أننا عندما قدمنا إلى تونس في سنة 1942 وجـــدنا الجمعية حية في الألســـن، وإن كـــانت مظاهر حياتها معدومة.

أما تلك النشـرة-الثمـرة الأولى-الـتي أبرزها في تلك الحلة فقد دلتنا على شيئين:الشــيء الأول: أن الطلبة لو لا ذلك التوجيه لما اســتطاعوا أن يصــلوا إلى ذلك المستوى الأدبي.

الشيء الثاني: أن الجمعية كانت تتمتع بنفوذ أدبي، فقد شـــار في تحرير هــذه النشـــرة **الأســتاذ عبد الحميد بن بـــاديس، والأســـتاذ المختـــار بن محمود، والشيخ الصادق بسيس**.

وإن هذا العرض المقتضب والشريط الصـغير لأعمـال **الأستاذ الشاذلي المكي**، يكفيان بل يوجبان بقاءه رئيسًا للجمعية من سـنة 1935 إلى سـنة 1939، ما دام غيره أقل منه نشاطًا وأدنى منه عملا(6).

لقد ساهم الشاذلي المكي مساهمة كبيرة في انفتاح التيار الوطني الجزائري على الشرق، حيث

تمكن من الاستفادة من تجربته النضالية الطويلة، مجربًا السجون والمعتقلات، والنضال السياسي، في حزب الشعب، فكان شعلة من النشاط منذ نزل مصر في 20 أكتوبر 1945م، بأمر من اللجنة المركزية والسيد الأمين دباغين، وبالقاهرة قام الشاذلي المكي بربط علاقات متينة مع زعماء الشرق، وكانت له المكانة اللائقة ضمن مكتب المغرب العربي،الذي كان برئاسة الأمير **عبد الكريم الخطابي**، كما تحدثت الوثائق والشهادات عن دوره في التأسيس لجيش تحرير شمال إفريقيا، والإشراف على المتطوعين الجزائريين للقتال في فلسطين، وبقي يعمل تحت أوامر الحزب، يكتب المقالات، ينشر الكتب، يعقد الندوات الصحفية، ويربط العلاقات المتينة مع النخب العربية والإسلامية بالقاهرة، كما كانت مشاركته الدورية بباكستان قد جعلت منه شخصية محورية للتعريف بالقضية الجزائرية، ونتأسف أننا لم نطلع على المذكرة الأولى والثانية التي فضح فيها الاستعمار الفرنسي بالجزائر ـ وقد ردت عليه الدوائر الاستعمارية بمذكرات ونبهت إلى ـــــــ

(6)-عمار النجار، **تاريخ الجمعية، أطوارها-آثارها-مشاريعها-أعمالها** (**الثمرة الثانية**، النشرة السنوية لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، قام بنشرها وترتيب موضوعاتها، وتصحيحها، عمار النجار، الكاتب العام للجمعية،تونس،مطبعة التليلي،1366-1367هـ/1947-1948م.ص:10-12.

خطورته بالشرق، إلى أن عزل عن نشاطه عام 1952م، لظروف داخلية خاصة بالحزب كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، وأشرنا إلى قضيته ضمن كتابنا **تاريخ الجزائر المعاصر**.

ومن الأمور التي تـذكر عن نشـاطه الحـثيث إنظمامه إلى جبهة الدفاع عن إفريقيا الشـمالية بالقـاهرة، وقد وصفه **هنري بنـازيت** الـوزير لـدى حكومة **شـارل ديغــول** في كتابه **إفريقيا الشــمالية في خطر** الصـادر عـام 1947 أن **الشـاذلي المكي** هو محـرك هذه الجبهة، وكرس تأثيره في مصر للـدعوة صـراحة بالبوق والصياح والصوت العـالي للانفصـال التـام عن فرنسا والاستقلال الكامل لبلاده الجزائر، وحرصًا منه على تعريف الشعوب الإسـلامية بالقضـية الجزائريـة، وبما تعانيه بلاده من ويلات الاســتعمار؛ شـــارك في مؤتمر الشعوب الإسلامية المنعقد بكاراتشي عاصـمة باكسـتان، فكـانت له اتصـالات كبـيرة بزعمـاء العـالم الإسلامي، وأبلغهم بحقيقة الوضع في الجزائــر، فكأنه يمهد للثورة الـتي سـتندلع بعد ثلاث سـنوات، وابتـداء من ســـنة 1950م، توافد الطلبة الجزائريـــون على القاهرة، فاهتم بهم **الشاذلي المكي**، حيث أشـرف عليهم بمعية جمعية العلماء، وكانت له اتصالات كبيرة بهم في جميع المعاهـد. ولما قــام الطلبة في جويلية 1954م بمظاهرة داخل القنصـلية الفرنسـية بالقـاهرة، مما أدت إلى اعتقال البعض منهم، فتدخل **الشاذلي المكي** لـدى السـلطات المصـرية للإفـراج عنهم من السجن وكـان من بينهم **محمد بوخروبـة، هـواري بومدين** فيما بعد(7).

---

(7)- خالد مكي، **المناضل الشــــــاذلي مكي(1913-1988)**، سيرة مناضل، نشـرها المرحـوم خالد مكي نجل الشــاذلي في بعض الصــحف العربية والفرنســية.محمد عباس، نداء...الحق(شهادات تاريخية)، ص:17.

ولا يمكن أن ينسي الجزائريون جرأة **الشـاذلي المكي** حينما تنكر في هيئة ضـــابط أمـــريكي، مما سـمحت له هـذه الظـروف بربط اتصـالات بمصـالح المخـــابرات العســـكرية الأمريكية الـــتي قـــدم لها معلومات عن ضـحايا القمع الفرنسي في شـهر مـاي الأسـود من عـام 1945م، وعلى هـذا اسـتفاد التقرير الأمريكي التي نشرته **مجلة البحرية الأمريكية** من معلومـات دقيقة وتوجيه سـليم، فـأعلن التقرير عن رقم 80 ألف ضـــحية كما ذهب إلى ذلك المرحـــوم **محفوظ قداش**(8).

إن أهم وثيقة وصـــلتنا عن نضـــال النخب الجزائرية بالمشرق في هذه الفترة حسب تجربـتي المتواضـعة هي هذه المذكرة الـتي نظمها الإبـراهيمي والشـاذلي المكي وغيرهما ومن هم في مســـتواهم الوطـــني والخلقي والسياسي والعلمي تنظيمًا يكاد يتفوق على الدراســـات والكتب والمـــذكرات الـــتي تتحـــدث عن**"المســألة الجزائريــة"** أو مأســاة الجزائر مع الاســتعمار، فهي مــذكرة منظمـــة، تعتمد الشـــاهد والوثيقة التاريخيــة، والقـانون، والواقع الجزائـري في عصر ليل الاستعمار الطويل.

---

(8)- mahfoud Kaddache,histoire du nationalisme algérien (question national et politique algérienne tome II .S.N.E.D .Alger 1980 p:768.

أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائريـة، الجـزء الثــالث(1930-1945)، بــيروت، دار الغــرب الإســلامي، 1992م.ص:189-190.خالد مكي، **المناضل الشـــــاذلي مكي(1913-1988)**، ص:3.توفيق محمد الشـــاوي، **مـــذكرات نصف قـــرن من العمل الإســـلامي،**

القـــــاهرة، دار الشـــــروق، 1419هـ/1998م.ص:19 وما بعـــــدها.محمد الأمين بلغيث، **تـــــاريخ الجزائر المعاصر**، ص:163.

لهـــذا تجنبت كل تعليق أو مس بالوثيقـــة، وهيأتها للقارئ والبـاحث لأنها موجهة إلى مسـتمع نـوعي، ثم أصـبحت الآن في حكم التـاريخ بعد مـرور ما يزيد عن نصف قـــرن على تسـليمها إلى مـــؤتمر بانـــدونغ لتحسيس الدول الأفروآسيوية بالمأساة الجزائرية.

والغـــريب أن بعض المهتمين بقضـــايا الحركة الوطنية وفي مستوى الصحفي القدير **محمد عباس** يقــول أن المــذكرة أو المنشــور الــذي اسـتطاع أن يوزعه **الشــاذلي المكي** -الــذي تســلل إلى قاعة المـــؤتمر مع الوفد الســوداني برئاسة **إســماعيل الأزهري**- في كواليس المؤتمر يدافع عن وجهة نظر المصـــاليين[9].وهـــذا ما لا تشـــير إليه الدراســـات والشهادات، ونحن نعرف أن **مصــالي الحـاج** أرسل عريضة إلى مؤتمر **باندونغ** مع صحفي فرنســي، وأنا أملك نسخة منها، ركيكة الأسلوب، لكن روح مصــالي من خلال بياناته ورســائله الــتي كــان يــدبجها أمثــال شاعر الثورة مفـدي زكريـا[10]-كما أخـبرني المرحـوم محمد قنانش- حاضرة في المطالب التقليدية للحركة الوطنية الاستقلالية وهذا قبل الشــرخ الــذي ســيعرفه مصالي بعد تأسيس الحركة الوطنية الجزائرية(MNA).

---

(9)-محمد عباس، نداء...الحق(شهادات تاريخية)، ص:17.

Achour Cheurfi, La classe politique algérienne de 1900 à nos jours(dictionnaire biographique), Alger, Casbah édition, 2001.p:262.

(10)- محمد الأمين بلغيث، **تـــاريخ الجزائر المعاصر**، ص:292-298.لمطالعة أخبـــار مكتب المغـــرب العـــربي وذكرياته، وأخبار باندونغ والـدول الـتي حضـرت المـؤتمر راجـع: الرشـيد إدريس، **ذكريات عن مكتب المغـرب العربي بالقاهرة**، تـونس ليبيـا، الـدار العربية للكتـاب، 1981م.ص:63.

Odette Guitard, Bandoung et le réveil des peuples colonisés,Paris(presses universitaires de France, 1969.P26.

2

الدولة الجزائرية(إشكالية التاريخ والجغرافيا).

من الإشـكاليات المطروحة في مسـار بنـاء الأسس المعرفية لتـــــاريخ الدولة الجزائرية الاختلاف الواضح في قـراءة المسـار التـاريخي، وتبـني مراحل معينة لتطـور معـالم الدولة الجزائرية عـبر العصـور حيث وقع النقـاش في كل النصـوص والمواثيق الـتي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، فنجد الحضـور الممـيز لتبـــني الدولة النوميدية بقيـــادة ماسينيسا ومقاومة يوغرطة للاحتلال الرومـــاني[11].وبعد القـــرن الســابع الميلادي اعتبرت الدولة الرستمية دولة جزائرية ثابتة، كما عـــرفت الجزائر دولا كثـــيرة بعد ســـقوط دولة الموحدين، أما ما بعد الموحـدين فيتبـنى السياسـيون والمؤرخون بلا اختلاف الدولة الزيانية كدولة جزائرية واضـــحة المعـــالم والحـــدود، ثم يتبـــنى المؤرخـــون والسياســيون معا الدولة الجزائرية منذ 1516م، الــتي أسسها الأخوة عـروج وخـير الـدين وإسـحاق وأخـذت صــورة الدولة المسـتقلة بل والمهيمنة في العلاقــات المحلية والإقليمية والدوليـــــة، وفي هـــــذه المرحلة

عرفت الجزائر المعالم الواضـحة الحدودية والبشـرية إلى غاية سـقوط دولة الـداي حسـين في **5** جويلية **1830**م على يد القوات الغازية الفرنسية الاستعمارية، وأول من أحيـا الدولة الجزائرية الحديثـة، هو الأمـير عبد القادر بن محي الدين الجزائري.

---

(11)-راجع الاختلافات والتطورات السياسية التي عرفتها المواثيق الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة:
Louanchi-Anne-Marie,Autour de la charte d’Alger: éffèrvéscence et décantation(in-salah louanchi-parcours d’un militant algérien)éditions dahlab Alger 1999.P:156.

لقد أوردت هذا المدخل الـذي يطـرح إشـكالية كبـيرة على المستوى السياسي والتاريخي أمام قضـية تكـاد تأخذ نصـــيبها من تفكـــيري منذ مرحلة طويلة من الـزمن، فما هي مكانة دولة المـرابطين في المسـار التاريخي للدولة والمجتمع الجزائري؟.

لماذا يمر المنظر الإيـديولوجي على مرحلة مهمة في تـاريخ المنطقة والـتي عرفتها بلادنا، ما حظ التـاريخ المـــرابطي في الـــذاكرة الجزائريـــة، هل الدولة المرابطية دولة مغربية(من المغرب الأقصى) أم دولة إسلامية وحدت معظم الغـرب الإسـلامي ولأول مـرة منذ الفتح الإسلامي للمنطقـة، لمـاذا يتبـنى السياسي الجزائـري ومن بعـده المـؤرخ دولة الموحـدين كدولة جزائرية، ولا يتحـدث عن دولة المـرابطين إلا كمرحلة ومسار تاريخي بالمنطقة؟

لقد تمكنت الوثيقة التاريخية الـــتي قـــدمتها **"جبهة تحرير الجزائر"** من معالجة هــذا الفــراغ الـذي تركته النصـوص السياسـية والتاريخيـة.فبعض الأسـئلة قد نجد لها الإجابة في أبحـاث أخـرى لأنه لا يمكن ونحن نجمع تاريخ الجزائر السياسي,والعسكري

عــبر العصــور -دون أن نمر على القــرنين الخــامس والســادس الهجــريين، الحــادي عشر والثــاني عشر الميلاديين ودون أن نــــــذكر الشــــــواهد المعمارية والأعمــال الــتي تركتها الدولة المرابطية في الجزائر منذ أن كــانت حــدودها الشــرقية تصل حــتى منطقة بجاية الناصرية[12]، وكيف لا يفكر السياسي ـــــــــ

(12)-المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ضبطه
وصححه وعلق حواشيه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي الدار البيضاء ، المغرب الأقصى، دار الكتاب، ط. **7 . 1978**م.مكي (الشاذلي) مكتب تحرير المغرب العربي، جريدة الشعب العدد:1092 الصادر بتاريخ **17/03/1966** يذكر الكاتب الذي كان يمثل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المكتب المذكور برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي أن الجامعة العربية قدمت لهم ميزانية لتكوين وتدريب جيش تحرير شمال إفريقيا.

في عصر الصــراع على الحــدود أن يقــرأ ما ورد في كتب النوازل التي تعالج قضـايا العصـر، فالونشريسي صـاحب المعيـار يقـول: **يهـود قصـور تـوات من المغرب الأوسط**، والكتاب بأجزائه محقق بالمغرب الأقصى بعناية مجموعة من علمــاء القطر الشــقيق، فهل نـزور كلام **الونشريسي**، ونحن نعيش الصـراع حول الحدود الموروثة عن الاستعمار، ولمـاذا يسـاهم المؤرخ في صب الزيت على النار؟[13].

أعتقد أن النخب إذا دخلت في تـــأجيج الصـــراع فلن نعتـبر بماضي الفرقة الـتي أصـابتنا في مقتل منذ أن هيأ لنا الاستعمار قاعدة وسياسة**"فرق تسد"**، الــتي لا تــزال حاضــرة إلى اليــوم في العلاقــات بين دول المغارب والمشارق.

(13)- أحمد بن يحـيى الونشريسـي، **المعيـار المعـرب والجـامع المغـرب عن فتـاوى علمـاء إفريقية والأنـــدلس والمغـــرب**، خرجه جماعة من الفقهـــاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الجزء الثـاني، بـيروت، دار الغـرب الإسـلامي، **1401هـ/1981م.**ص:215.انظر أيضًـا حـــول هـــذه القضـــية الـــتي تشـــكل نزاعًا كبـــيرًا منذ الاســـــتقلال.روس، إ.دان، **المجتمع والمقاومة في الجنـوب الشـرقي المغـربي(المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنســية)**، ترجمـــة: أحمد بوحســـن، مراجعة عبد الأحد السبتي، المغرب الأقصـى، منشـورات زاوية، 2006م.ص:205 وما بعدها.

3 – **قراءة في وثائق جبهة تحرير الجزائر**

لمَّا قامت الثورة الجزائرية المباركة في الفاتح من نوفمـــبر **1954**م،تغـــيرت المـــوازين في الحركة الوطنية الجزائرية، وكان كثير من الوطنـيين قد تفاجأ للفعل الثـوري الـذي انطلقت شـرارته في الأوراس، معلنة ميلاد فجر جديـــد، وتســـابق النـــاس بجميع مسـتوياتهم للنظر فيما وقـع، وكـانت أشد الحركـات السياسية قد أصابها ذهول، لهذا تأخر عن الركب كثير من المناضلين في انتظار من القائم على هـذا العمل الثـوري، هل هو مغـامرة كما ذهب إلى ذلك بعضـهم، أم هي ثورة منظمة تحتاج إلى الدعم والانضـمام إلى مفجريها، رغم أن البيان قد وضح كل شـيء بداية من هم الذين فجروا هذا العمل المسلح، ومـاذا ينتظـرون

من المناضــلين والمواطــنين الجزائــريين، لهــذا وقع اختلاف بين الشرعيات القائمة أو التيارات السياســية الفاعلة في المجتمع رغم الانقســـــام الســــائد في الحركة الوطنية الاسـتقلالية، وخاصة بعد تفجـير أزمة حزب الشعب، حركة انتصار الحريـات الديموقراطيـة، بين المصاليين، والمركزيين؟[14].

لهذا أعتقد أن ما صدر عن الجزائريين أو النخبة الجزائرية على اختلاف مشاربها السياسية وانتماءاتها السياسية بالقاهرة، تعبير عن القلق الذي أصابهم من هذا المولود الجديد، **جبهة التحرير الوطني**، وكيف انضم الوفد الخارجي إلى **"جبهة تحرير الجزائر"** التي لا يعرف عنها المؤرخون وعامة الناس من المثقفين إلا ما صدر عنها من وثائق وبيانات في دراسات وكتب نادرة الوجود بين الباحثين خاصة، لهذا عزمنا على نشر ما يقتضي التعريف بهذه المرحلة بالقاهرة خصوصًا، وأهم ما يميز **جبهة تحرير الجزائر**، البيانات والندوات الصحفية التي كانت تقيمها بالقاهرة،

______

(14)_ د.إبـــراهيم لونيســـي، **أزمة حـــزب الشـــعب الجزائـــري،خلفياتها وأبعادها**، (مجلة المصـــادر)، الجزائر، العدد الثاني،1420هـ/1999م.ص:93-115.

وعلى الخصوص ما كان يقوم به العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وأعتقد أن أهم وثيقة صــدرت عن هذه الجبهة، هي بياناتها إلى الدول الأفروأسيوية التي أشار إليها المفكر الجزائري مالك بن نبي في معرض طرحه لكتابه "الفكرة الأفروأسيوية في ضـوء مـؤتمر بانـدونغ"، في عمل صـدر له بالقـاهرة بمقدمة لأنـور السـادات[15]. أمّا **جبهة تحرير الجزائر** فقد أعـدت مـذكرة من اثـنين وثلاثين صـفحة من الحجم الكبـير،

عرضت فيها المســـــألة الجزائرية من جميع جوانبها التاريخية والسياسـية، وفضـحت المـذكرة الاسـتعمار. ومن خلال تجربــتي المتواضــعة مع أرشــيف المناضل الشاذلي المكي، رأيت بصماته على أدبيات الوثيقــة، فقد كان يحارب لوحده النظام الاستعماري، حيث أصــدر كتابًا عـــام 1947م، يفضح فيه الأعمـــال البربرية للاســـتعمار الفرنسي في الجزائر أيـام شـهر مـاي الأسـود من عـام 1945م(16).

---

(15)- يوسف حســـــين، **موقف مالك بن نـــبي من الفكر الغـــــربي الحـــــديث**، ط.1[المملكة العربية السـعودية، مكتبة دار الزمــان للنشر والتوزيــع، 1425هـ/ 2005م]ص:27.محمد عبد الحليم بيشـــــــــــي، **نظرية الاســتعمار والثــورة عند مالك بن نــبي**، مــذكرة السنة الثانية ماجسـتير، إشـراف ناصر الـدين سـعيدوني، جامعة الجزائــر، معهد التــاريخ، 1994-1995م.ص:9.(16)- الشــاذلي المكي، وطننا العــربي (ســكرتير حــزب الشــعب الجزائـــــري يرفع إلى الجامعة العربية تقريـــــرا عن فاجعة الجزائر في 8 مايو ويعلن مطالب الشعب الجزائـري) جريـدة مصر الفتاة) العدد 53 مصر 1947م.ص:13. الشــاذلي المكي، الـذكرى الثالثة لمأسـاة مـاي 1945م القـاهرة 1948م ص:72 وما بعـــدها، الشـــاذلي المكي، **حـــوادث 8 مـــاي 1945م أسبابها ونتائجها**(محاضـرة ألقاها الشـاذلي المكي يـوم 7 مـاي 1974م بـالجزائر العاصـمة ص:6.انظر ترجمة الشـاذلي المكي: mahfoud Kaddache,histoire du nationalisme algérien (question national et politique algérienne tome II . .p:598.Stora(B),Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algériens(1926-1954), L’harmattan , Paris 1985,P:133.Mohamed Arezki Berkani,L'histoire de Djenien-.Bou-Rezk(sud-Oranais), Alger 1965,P:59

كما أصــدر كتابًا يفضح فيه الأعمــال البربرية الفرنســية بـــالجزائر عـــام 1948، وكتابًا آخر عـــام 1951م، مما أدى

بالصــلف الاســتعماري وأجهزته ورجاله بنفي ما جــاء في مـــذكرات الشـــاذلي المكي وصـــدر العمل عن **حكومة الجزائر العامة**؛ بكتـــاب تحت عنـــوان:**"الـــرد على مذكرة مكي الشاذلي حول القضـية الجزائريـة"**[17]. وهو نفس ما كررته الدولة الفرنســية في قــانون العــار المشـهور الصـادر في(23 فـبراير 2005م).الـذي يمجد الاستعمار في المغرب العربي وخاصة بالجزائر، وكأننا نقــرأ المــذكرة الــتي أصــدرتها حكومة الجزائر العامة ردًّا على نشاط **الشاذلي المكي** بالقاهرة.

(17)- Gouvernement Général de L'Algérie, service d'information et de Documentation), Réponse au factum de Mekki Chadli sur la question Algérienne,1951.80 pages.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل عام

اللائحة الداخلية لجبهة تحرير الجزائر.

الفصل الأول:

المادة الأولى:

1- تعمل جبهة تحرير الجزائر في مصر لتنسيق أعمالها مع جبهة التحرير في الجزائر تنسيقًا وثيقًا، وتسعى عاملة جهدها لحث الشعب الجزائري بهيئاته وأفراده على تأييد حركة الكفاح من أجل الحرية والاستقلال.

2-ومن مهام الجبهة مراقبة التطور السياسي في الداخل والخارج، ودرس الحالة، وتعبئة جهودها للدعاية لصالح القضية الجزائرية بكل الوسائل الممكنة.

المادة الثانية:

ولتحقيق تلك المهام شكلت الجبهة لجنتين، ومكتبًا إداريا.

أ-لجنة المساعدة للعمل الإيجابي في الداخل، ومهمتها تدبير حاجيات جيش التحرير.

ب-لجنة الاتصالات، ومهمتها العمل على إنارة الرأي العام الدولي فيما يتعلق بالقضية الجزائرية، واتخاذ كل الإجراءات والأسباب للتحصيل على العون الأدبي والسياسي، والمادي من الشعوب والحكومات لصالح القضية الجزائرية.

جـ- المكتب الإداري ويتكون من سكرتارية، وأمانة للصندوق؛ ومهمته تسيير الإدارة، وإعداد جدول الأعمال، والمحافظة على أحوال الجبهة، وعلى أوراقها ووثائقها.

3- تسـير اللجنتـان والمكتب الإداري وفق ما تسطره الجبهة.
4- يجوز للجبهة أن تنشئ، ما تراه ضرورة من اللجـــــــــــان، والمكاتب في مصر و غيرها.
5- لا يحضر جلسات الجبهـة، ولا يشـارك في مناقشـاتها غـير الأعضـاء المؤسسـين الـذين أمضـوا الميثاق والذين يتفق الأعضاء على حضورهم.
6- لا يكون اجتماع الجبهة صحيحا إلا إذا حضره ثلثا الأعضـاء الموجـودين في القـاهرة سـاعة انعقـاد الاجتماع.
7- تجتمع الجبهة مرة في الأسبوع على الأقل.
8- كل المراسلات والاتصالات تكون وتتم باسم الجبهـــة، وعلى الصـــورة والكيفية اللـــتين تحـــددهما الجبهة.
9- يمكن للأعضاء أن يقوموا بأعمال خارج نطاق الجبهة على شرط ألا تكون متنافية مع هـذه اللائحـة، أو مع الميثاق.
10- لا يقصد من هذه اللائحة حصر أوجه نشاط الجبهـــة، وإنما المقصـــود منها وضع النقط الرئيســـية لحسن سير العمل.
11- هذه اللائحة قابلة للتعديل استجابة للمصلحة العامة، وموافقة جميع الأعضاء.
القاهرة 25 جمادى الثانية 1374/18 فبراير 1955

إمضاءات الأعضاء المؤسسين:
محمد البشـــــير الفضـــــيل الـــــورتلاني.
أحمد مزغنة.

الإبـــــراهيمي أحمد بيــــوض. محمد يزيــــد. الشاذلي مكي
حســين الأحــول. محمد خيضــر. حســين آيت أحمــد. أحمد بن بله.

بسم الله الرحمن الرحيم
ميثاق جبهة تحرير الجزائر.

تداعى أبناء الجزائر المسئولون المقيمون في مصر إلى مُدارسة كل ما جــرى، ويجــري في بلادهم من عـــدوان وتنكيل وتقتيل وتشـــريد، من جـــانب استعمار غاشم حقود، ولقد استقر رأيهم على الوثيقة التالية التي وقَّعها السـادة:محمد البشـير الابـراهيمي، أحمد مزغنّـة، أحمد بيـوض، محمد خيضـر، الشـاذلي مكِّي، الفضيل الورتلاني، حسين الأحول، أحمد بن بله حسين آيت، محمد يزيد.

الديباجة:

في الجزائر العربية المسلمة، اليوم، كفاح مسلح خطــير، لاســترجاع سـيادتها واســتقلالها، دفعها إليه اســتعمار بغيض، تســلَّط عليها بقــوة الحديد والنَّار، واستنزف خيراتهـا، وحـاول طمس معالمهـا، وتحطيم كيانها وجرَّدها من كل حق في الحياة الحـرة العزيـزة الكريمة ضــاربًا صــفحًا عن تطــور الــزمن، وعن أن الاستعمار لم يعد في القرن العشرين أسـلوبًا صـالحًا للبناء.

ولقد كان من الطبيعي، والحالة هذه، أن تتوحد جهود المسئولين الجزائريين الموجـودين في القـاهرة المـوقعين أسـفله، وأن يكونـوا يـدًا واحـدة في خدمة

الجزائر والكفـــاح في ســـبيل تحريرها واســـتقلالها مساندين بذلك جيش التحرير الجزائري وعاملين على إنجـــــــاح الحركة الثورية القومية القائمة الآن في الجزائر.

ولقد اقتنع الجميع بما تضـمنته هـده الديباجـة، وقرّرٌوا بالإجماع ما يأتي:

1-يعتـــبر الشـــعب الجزائـــري على اختلاف أفـــراده، وهيئاته-فيما يختص بالكفاح الرهيب- كتلة واحــدة هي الأمة الجزائرية. ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

2- تٌسمَّى الهيئة المنضـوي تحت لوائها أبنـاء الجزائر المسـئولون المقيمـون في القـاهرة" **جبهة تحرير الجزائر"**

3 -تعمل الجبهة لتحرير الجزائر من الاســـــتعمار الفرنســـي، ومن كل ســـيطرة أجنبية مســـتعملة كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها.

4- الجزائر عربية الجنس، مســـلمة العقيـــدة؛ فهي بالإســـلام والعروبة كـــانت وعلى الإســـلام والعروبة تعيش، وهي في ذلك تحـــــترم ســــائر الأديـــــان والمعتقـــدات والأجنـــاس؛ وتشـــهَّر بســـائر النظم العنصرية الاستعمارية.

5- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العـربي، الـذي هو جـزء من العـالم العـربي الكبـير، وأن اتجاهها إلى العروبة، وتعاونها مع الشعوب،والحكومـات، والجامعة العربية، أمر طبيعي.

6- الإيمان بوجوب توحيد الكفـاح بين أقطـار المغـرب العربي، تونس الجزائر مراكش.

7- جبهة تحرير الجزائر مســتعدة من الآن لتنــدمج في هيئة أجمع وأشـــمل للأقطـــار المغربية الثلاثة بنظـــام

يوضع ومســـؤوليات تحـــدد، وتهيب بالقـــائمين على الحركـات التحريرية في كل من تـونس، مـراكش أن يضعوا أيديهم في يدها وأن يعملوا معها على تأسـيس هيئة تنتظم الجميع.
8- تنتهز الجبهة هـــذه الفرصة لتبعث بتحياتها الأخوية إلى ســائر المكــافحين في الجزائر ســواء منهم من حمل السلاح، أم من كـان عـاملا وراء الميـدان؛ وإلى المســاجين والمعتقلين السياســيين ضــحايا القمع والإرهاب مترحّمة على الشهداء.
9- وتهيب جبهة تحرير الجزائر في القــــاهرة بإخوانها في العـــــــــــالميْن :العـــــــــــــــربي والإسلامي، وبأحرار الدنيا جميعهم -ليناصـروا الجزائر في كفاحها من أجل حريتها واســتقلالها ؛ فهم بـــذلك يناصــرون الديموقراطية الحقّة والإنســانية المعذبــة، والمبادئ السامية.
القاهرة في 17 فبرايـر 1955/ 24 جمادى الثانية 1374

4

مذكرة جبهة تحرير الجزائر التي قدمها الأستاذ المناضل الشاذلي المكي إلى مؤتمر الدول الأفروأسيوية

(17-20 أفريل1955م

الجزائر حدودها وجغرافيتها.

هناك ما بين البحر الأبيض المتوسط شمالا، وبين الصحراء الكبرى، مع إدخال "الهقار" موطن الطوارق الأحرار، جنوبا، وما بين مراكش وإفريقيا الاستوائية الغربية غربا، وبين تونس وليبيا شرقا ـ يمتد القطر الجزائري على مساحة لا تقل عن مليونين وربع مليون كيلومتر مربع. وهذا التحديد يرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ومن هنا فنحن قلما نجد وطنا ذا حدود عريقة في القدم مثل الوطن الجزائري.وبهذا الاعتبار في تحديد المساحة تعد الجزائر أوسع الأقطار في الشرق الأدنى، كما هي كذلك بالنسبة إلى الأقطار الأوربية، فهي تساوي أربعة أضعاف فرنسا، أو مرتين وثلثا القطر المصري، وأربعة أمثال مساحة سوريا والعراق مجتمعين أو مساحة سويسرا ستين مرة.

والجزائر تكون مع تونس ومراكش وحدة جغرافية، وجنسية ودينية وتاريخية فهواء هذه المنطقة من العالم العربي الواسع الأرجاء واحدة وطبيعة أرضها واحدة وسكانها من قديم الزمان مصالحهم ، وآلامهم وآمالهم واحدة ، فهم قد انحدروا من أصل واحد ، إما من مصر وإما من اليمن أو منهما معا.

ودیانتهم قدیما الوثنیة، ثم جـاءت المسـیحیة فكـــادت تعم البلاد، ثم جـــاء الإســـلام زاحفا فلم یبق هنـاك قلب إلا فتحـه؛ اسـتقر فیه الاسـتقرار النهـائي، فإذا هو معتقد الناس جمیعا بمثل ما أصـبحت العروبة قومیتهم جمیعا.

على أن الجزائر لها طابعها الخاص. وهي على ما تعاقب علیها من أنواع الغزو الأجنبي بقیت هي هي حتى أن القرون الستة من الاحتلال الروماني لم تؤثر في نفسیتها وشخصیتها إلا كما یؤثر النسیم العلیل، أو الریـاح الرخـاء على صـفحة البحر الرهـو. ومن روما وسلطانها لم یبق في المغـرب العـربي بصـفة عامة ، وفي الجزائر بصـفة خاصة إلا تلك الصـخور المنحرفة الـــتي تصـــور لك ســـحنة القـــرویین الجزائـــریین في صبرهم وأنـاتهم وتمسـكهم بـتراثهم، وأرض أجـدادهم كالصخر نفسه أو أشد صلابة وقسـوة. وما تلك الآثـار الرومانیة المتهدمة المتنـــاثرة هنا وهنـــاك ینعق علیها البوم إلا دلیل على صلابة ذلك الفلاح الجزائري الـــذي تمر علیه الأعاصـــیر الهـــوج بینما هو ثـــابت بقوتـــه، محتفظ بشخصـیته، معـتز بقومیتـه، مـتربص الـدوائر بأعدائه والجزائر من حیث عـدد السـكان تـأتي الیـوم في المرتبة الثانیة، بملایینها العشرة العرب الأشاوس مضافا إلیهم **850.000** من الفرنسـیین والأوربـیین، بعد مصر بالنســـبة إلى تعـــدد الأقطـــار العربیة مغربا ومشرقا.

وهي تعتبر بلاداً زراعیة، فالحبوب وحدها تحتل ثلاثة ملایین هكتار. والهكتار عبارة عن فـدانین ونصف فـــدان تقریبـــا، كما أن الكـــروم قد اســـتحوذت على أربعمائة ألف هكتار **400.000**. ومن هذه النسبة یمكن

للقارئ أن يستنتج المساحة المغروسة فواكه، وبقولا، وموالح ونخلا وزيتونا وحدائق، وغابـات، وجملة القـول أن الأراضي الزراعية تبلغ مســاحتها عشـــرين مليونا وثمانمائة وثلاثة عشر ألفا، ومائتين وواحدا وخمسين هكتارا هكذا(**51 2 .3 1 8 .0 2**).

وتصدر الجزائر سنويا أكثر من مليوني قنطار (والقنطار مائة كيلوغرام) من الحلفـاء كما تصـدر من الغنم فحسب مليون رأس. وتنتج ربع ما ينتجه العــالم بأجمعه من الفلين. هـذا بالإضـافة إلى وجـود المـواد الأولية مثل الفحم الحجـــــري، والحديد والرصـــــاص والزنك، والنحاس، والمنغنيز والفوسـفات والكـبريت، والبـترول، وغـير ذلك من هـذه المـواد الـتي تزخر بها التربة الجزائرية الكريمـــة، والـــتي تتســـابق الـــدول لاقتنائهـــا، ووضع اليد عليهـــا، لأنها عصب الصـــناعة السلمية والحربية المدنية والعسكرية.

إن الجزائر من حيث الموقع الجغرافي، ذو منطقة البلاد المعتدلـــــة، ومن حيث غــــنى الطبيعة والـثروة الزراعيـة، والمعدنيـة، والحيوانيـة، -تعد بحق جنة في هـــــذه الأرض- ولكنها جنة لا يتمتع بخيراتها -بكل أســـف-أصـــحابها وأبنـــاء البلاد فيهـــا.ذلك لأنهم يعيشـــون فيها محـــرومين منها كالغربـــاء أو كالعبيـــد. والســـــــادة فيها في واقع الأمر إنما هم الـــــــدخلاء الغاصبون المستبدون.

والسائح المتجول في الجزائر إذا ما زار مناطق الغابـــات، والجبـــال الشـــاهقات يخـــال نفسه أنه في سويســـرا مكـــبرة عشـــرات أضـــعافها، وإن القطر الجزائـري إن هو إلا عبـارة عن غابـات متشـابكة ذات أشـجار باسـقة تطـاول الجـوزاء، وجبـال شم تنـاطح

السـماء.وهو إذا ما زار الوهـاد والسـهول والهضـاب والمنخفضـات حسب نفسه أنه في دلتا النيل بمصـر، أو في أوكرانيا بروسيا.وبهذه الطبيعة الغنية الخصـبة، السَّهلة الوعرة ، الشديدة اللينة، المرتفعة المنبسطة - فتـأثرت نفسـية الجزائـريين كما تتـأثر كل الكائنـات الحية بعامل البيئة الطبيعية.

وإذا ما نحن أضـفنا إلى ذلك تلك الحـوادث الكثيرة العديـدة الـتي تعـاقبت منذ فجر التـاريخ على المسرح الاجتمـاعي الجزائـري-أمكننا أن نتصـور وأن نعرف النفسـية والشخصـية الجزائرية على حقيقتهـا، وسـاعدنا كل ذلك على أن نقف على أسـرار تلك المقاومة التي أبداها، ويبديها الجزائريـون ضد الغـزاة المعتـدين دفاعا عن وطنهم، وحفاظا على أمجـادهم،وتمسـكا بـتراث أجـدادهم بمثل البسـالة والتضـحيات الجسـيمة الـتي سـجلها لهم التـاريخ في شئ كثير من التيه، والإعجاب، والتقدير.

والاستعمار هو أكبر قارعة يمكن أن تصاب بها الأمم، والشـعوب والـدول.

وهو على فضاعته، وفداحته، وبربريته، أنواع ودرجات، بل هو دركـات تهـوي بالشـعوب الـتي تصـاب به إلى أسـفل سـافلين.وأخبث أنواعه وأشـدها فضـاعة، وأكثرها شـرًّا وخطـرا على قوميـات الشـعوب،ومقـدراتها ومصـائرها-هو الاسـتعمار الفرنسي...

وفي الصفحات التالية نقـدم لإخواننا العـرب والآسياويين، في سائر أنحاء العالم-صورة خاطفة، إلا أنها مرعبة رهيبـة، للاسـتعمار الفرنسي في الجزائر العربية المسامة.

الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي

يظهر أن فرنسا كانت تنجح حتى في أوساطنا العربية العليا -بكل أســف- في ادعائها أن الجزائر لم يكن لها تـاريخ يـذكر قبل سـنة **1830**، وبالتـالي فهي- في المنطق الفرنسي المختـل- لم تكن في يــوم من أيامها دولــة، حـرة مسـتقلة، ذات سـيادة. إنما كـانت عبارة عن شعـب تسوده الفوضى والهمجيــة، وتتحكم فيه القرصــنة الشرســة، وتســوقه الفردية الجشــعة، والبربرية الرعناء.

ومن هنا جاز لفرنسا المنكرة للجميل،المحرفة للكلم عن مواضعه المزورة للتاريخ،وللقيم الإنسـانية- أن تــــدعى،بمقتضى الاحتلال، ووضع اليد وبمقتضى حق الفتح، أن الجزائـــر، بما هو في ســمائها،وفـــوق أرضـها ، وفي أحشـاء تربتهـا، بـاتت فرنسـية، لا يصح لكائن من كـان أن يتـدخل في أي شـيء من شـؤونها التي هي من صميم الشؤون الداخلية لفرنسا.

ولقد وجدت هذه الدعاية الفرنسية في الأوساط الدولية من يستمع إليها ،بل ومن يصدقها، الأمر الذي جعل الكثـــيرين من أقــــرب النــــاس إلى الجزائر لا يكـادون ينظـرون إلى قضـيتها ، ومشـاكلها مع فرنسا بدعوى أنها قضية معقدة مستعصية ليس من الســهل بحثها ، أو حلهـــا. ولعل هـــذا بعض ما يفسر إهمـــال إثارتها ،أو التعــرض لها في الأمم المتحــدة -مثلا- من طــرف الوفــود العربية والأســمرية رغم ما أثــير من قضايا وعرض من مشاكل على تلك الهيئة الموقرة.

وتشهيرا بخبث طوية فرنسـا، وبعـدم أمانتها العلمية، والتاريخية-نرى لزاما علينا أن نستعرض أمام القارئ ،والباحث المنصف نتفا من تـاريخ الجزائر قبل

سـنة 1830، أي قبل أن تُبْلَى بالسـرطان الفرنسـي، ليـدركا معنا أن الجزائر العربية المسـلمة كـانت دولة حرة، مسـتقلة، ذات سـيادة ، وأنها لم تعد كـذلك بعد العـدوان الفرنسي الأثيم عليهـا. على بما نقدمه هنا من الحجج الدامغة المبطلة لدعاوى فرنسا،الفاضـحة لأمرها ولمفترياتها الدالة على شـططها في السفه،وعلى إسـرافها في تزوير الحقـائق التاريخيـة، سنكفي القارئ والباحث عن الحقيقة، مشقة التحليق بها في الأجـواء التاريخية النائيـة، ونكفيهما أيضا ما يتطلب البحث والتنقيب من التطـويح وانتقل في ثنايا ذلك الماضي البعيـد.لأن ما نحتـاج إليه هنا إنما هو فقـرات من تـاريخ الجزائر العربية المسـلمة نقطفها من هنا وهنـاك؛ لنقيم بها الـدليل، ونـدفع بها الادعـاء الباطل الظـالم ، ونظهر بها فرنسا على حقيقتها في أسمالها البالية التي تتستر بها،وفي وحشيتها الضـاربة التي ما أجدر أن تجعلها تعيش في الغابات والكهوف، لا بين أقوام سبق تمدنهم الـروحي والعلمي والمـادي كل ما تدعيه فرنسا من حضارة ومدنية.

لقد عاشت الجزائر منذ الفتح العربي الإسلامي فخورة بعروبتها ،عزيزة بإسلامها،وبهذه الصـفة،وبهـذا الطـابع بالـذات شـاركت ،منذ منتصف القـرن السـابع بعد الميلاد،في كل تلك الأحـداث الـتي تعـاقبت على حـوض البحر الأبيض المتوسـط. ودورها الرئيسي في تأسـيس الدولة الفاطميـة، ودولـتي المـرابطين والموحدين ليس هناك من يجهله.

وعلى أثر تفكك دولة الموحـدين قـامت للتو الدولة الجزائرية المتمتعة بسـيادتها واسـتقلالها الـداخلي والخـارجي ، وعـرفت رقيها وازدهارها في

الصناعة، والاقتصاد والثقافة، والعلم قلما وجد وعرف مثله في دول أوربا في ذلك العهـــــــد. وآثـــــــار تلك الحضارة، و ذلك المجد لا تزال قائمة حتى يومنا هذا.
على أن اتصال سائر الأقطار العربية والإسلامية به ،اتصـــالا روحيا أكــثر منه شــيئا أخــرا؛ لأن الخلافة الإســـلامية كـــانت في نظر النـــاس حـــتى ذلك العهد مظهرا من مظاهر تماسك المسلمين واتحادهم؛ ولأن خليفة المسلمين كان ظل الله في هـذه الأرض، ومن هنا وعلى هذا الضرب يفسر ذلك الارتباط.
ومما تجد الإشـارة إليه أن عـدد الأتـراك في الجزائر في عهد ذلك الاتصـال لم يتجـاوز الثلاثة آلاف نسمة كما ورد في تاريخ" محمد عثمان باشا" للمؤرخ الكبير الأستاذ توفيق المدني.
وفي هذا الصدد كتب البارون سـانت دينـيز (Le Baron de saint -Denis)"
"...إن ســلطة الســيادة قد أزاحت وســقطت من يد السلاطين العثمانيين،لتؤول برمتها إلى أيدي الدايات. (جمع داي وهو الاسم الـــذي كـــان يطلق على والي الجزائر في عهد العثمانيين).
"وهذه الثورة شبيهة لتلك التي بها تخلص الألمانيون من ولائهم وطاعتهم لرؤساء الإمبراطورية الجرمانية، ونادوا بسيادتهم استقلالهم".
ويستطرد:"البارون دي سانت دينيز"يعني دايات الجزائر قـــــــــــــــــــــــــائلا:" وهم في ممارسة سلطاتهم كسادة للجزائر لا يقبلون بـأي ارتبـاط سياســي(لبلادهم) بالبـاب العـالي، فهم الــذين يعلنــون الحــرب، و يمضــون الســلم من غــير استشارة ديوان القسطنطينية(الأستانة)، ويختم كلامه

هذا بقوله:"و أنه لواضح إذن بأن حقوق سيادة البــاب العالي على الجزائر كانت منعدمة لا وجود لها عمليــا. وانعدامها هـذا يرجع تاريخه إلى ذلك اليـوم الـذي فيه تقرر أن تكون سلطة السيادة للدايات مرجعها الوحيد إلى انتخـاب الجيش الجزائـري. أي منذ ابتـداء القـرن السـابع عشـر" انتهى من كتـاب اعتبـارات إحصـائية، تاريخية ، عســكرية و سياســية عن ولاية الجزائـــر" للبارون دي سانت دينيز(Le Baron de saint -Denis).

ومن مظاهر سيادة الدولة الجزائرية واستقلالها الخــارجي-علاقاتها الدبلوماســية بــأكثر من دولة من دول أوربا وأمريكـا.ويرجع وصـول أول ممثل فرنسي العاصــمة الجزائرية إلى ســنة 1563. كما يرجع أول ارتبـــــاط تعاهـــــدي بين الدولة الجزائرية والدولة الفرنســية إلى النصف الأول من القــرن الســادس عشر.

وبمقتضى ذلك التعاهد والتحـالف اسـتنجد فرانسوا الأول ملك فرنسا مـرتين بالدولة الجزائريـة، ما بين 1536 وسـنة 1537، وما بين سـنة 1542 .وسـنة 1544، يطلب منها مشاركة الأسـطول الجزائـري لـرد قوات " شارل كان الأسبانية عن السواحل الفرنسـية الجنوبية.

كما أن هنري الرابع ملك فرنسا لم يتردد سنة 1593 في طلب النجــدة بالدولة الجزائريـــة، بمقتضى ذلك التحـــــــالف، لتعينه بقواتها البحرية على تحرير مدينة مرسيليا وتخليصـها مع جنـوب فرنسا من أيـدي الهجنوت(Huguenots) و الأسبان".

ولقد بلغت الــديون الــتي هي للخزينة الجزائرية على فرنسا رقما قياسيا خياليا إذا ما نحن نظرنا إليها بعين

ذلك العصـــر، إذ بلغت ذلك الـــرقم المـــدهش: أربعة وعشـــــــــرين مليونا من الفرنكـــــــــات الذهبية (24.000.000) استدانتها فرنسا من الدولة الجزائرية عَيْنًا ومـواد أوليـة، وبضـائع في أواخر القـرن الثـامن عشر وأوائل القـــرن التاسع عشـــر، ومن أســـباب العـدوان الفرنسي على الجزائر تلك الـديون بالـذات، فتكون فرنسا قد جازت الجزائر مجازاة سـنمارية...!. ولقد تمت إنجلترا، وهولاندا والـدنمارك، والبندقية من ناحية و بين الجزائر من ناحية أكثر من اتفاقية، وأكـثر من معاهدة ، نـذكر من بينها الـتي وقعت بين الجزائر وإنجلترا يوم 24 أبريل 1682م.

والجزائر كانت في طليعة الدول التي اعترفت بالولايات المتحدة الأمريكية سـنة 1786م ووقعت معها معاهـدة صـداقة في 5 سـبتمبر 1795م طبقا لتوصـية مجلس الشيوخ الأمريكي يوم 24 فبراير 1792.

والمعروف أن المعاهدات على اختلاف أنواعها، والعسكرية منها على الخصـوص لا تعد إلا بين الـدول المستقلة، الحرة، ذات السيادة. وهذا بالضـبط، وعلى وجه الدقة والتحديد بين الدولة الجزائرية و بين غيرها من دول ذلك العصر والـــتي من بينها فرنسا هـــذه الأثيمـــة، الأفاكـــة، المعتدية على حرية الشـــعوب ، المنتهكة لمقدسات الأمم وحرماتها، العابثة بـالمواثيق الدولية.

ومعـنى هـذا أن الجزائر كـانت قبل العـدوان الفرنسي عليها سنة 1830 دولة، حـرة مسـتقلة، ذات سـيادة كاملة النفـوذ في حكم نفسـها بنفسـها وإدارة سياســتها الداخلية والخارجيـــة، وقوتها العســكرية؛ البحرية والبرية ونظامها الاقتصـــادي، والسياســـي،

والاجتماعي، والثقافي، وغير ذلك من مقومات الدول، ومميزات الشعوب والأمم. وهي اليوم لم تعد كذلك بعد أن سلبت منها فرنسا استقلالها وحريتها وسيادتها، ووضعتها في وضع شاذ باتت من جرائه مهددة في شخصيتها وذاتيتها بالمسخ، وفي قوميتها العربية-الإسلامية بالإفناء والإبادة.

محاولات الدول الأوربية احتلال الجزائر

كانت الجزائر محط أطماع كثير من الدول الأوروبية منذ ابتداء القرن السادس عشر لأمرين :

أولا:لما امتازت به من الثروات المعدنية ، والزراعية والحيوانية.

وثانيا: لمحاولة كسر شوكتها، والإتيان على أسطولها وقوتها البحرية التي كان يحسب لها، في ذلك العهد، ألف حساب.

فأسبانيا التي كانت ثملة بخمرة النصر على العرب والمسلمين في الأندلس ، رأت أن تلاحق المسلمين في عقر دورهم ، فجهزت قواتها وأساطيلها لغزو الجزائر، إلا أن كل حملاتها قد منيت بالفشل الذريع والخسران المبين أمام العاصمة سنة 1516و1519 و 1541 و 1771.

وحتى عندما زين لها كبرياؤها، وغرورها سهولة الاستيلاء على القطر التونسي واحتلت بالفعل عاصمته تونس مرتين في التاريخ، هرعت الجيوش الجزائرية فحررتها في كلتا المرتين، وألحقت بالأسبان خسائر فادحة.

وكذلك سولت للدنمرك، وللبرتغال أنفسهم الاستيلاء على الجزائر، فتعثر بهم الحظ وردوا على أعقابهم خاسئين خاسرين.

وفي 12 يوليو سنة 1824 جاء الأسطول الإنجليزي معلنا الحـرب على الجزائـر، واسـتمرت هـذه الحـرب إلى 29 منــه، ثم رجع الإنجلــيز بخيبة مؤلمة ألــزمتهم، بأن يعودوا من حيث أتوا دون أدنى منـال من حصـون الجزائــر، أو أن يســتطيعوا إلحــاق أدنى خســارة، أو مضرة بأسطولها.

وحتى فرنسا حاولت غزو الجزائر أكثر من مرة قبل سنة 1830، نذكر منها غزوة الجـنرال " ديكسـن" سنة 1682 ، وغزوة المارشـال " أسـتري" سـنة 1688 رغم ما كـــــانت تبديه الجزائر لفرنسا من الحب في مسالمتها ، ومن البذل والاستعداد لمساعدتها.

ومما يجدر ذكره هنا أنه لما اجتاحت فرنسا تلك الضـائقة المالية والتموينيـة، الـتي كـادت تـتردَّى فيها على إثر ثورتها الكــبرى ســنة 1798، رأت-وهي في حربها مع دول أوربا الكبرى- أن ليس هناك من يمكن أن تعتمد عليه في تفـــريج تلك الضـــائقة أحسن من الدولة الجزائرية.

ولنستمع معا إلى داي الجزائر يحدثنا في خطابه الذي أرسله بالمناسبة إلى الحكومة الفرنسـية يقــول لها فيه:" إنه بالرغم من دسـائس الإنجلـيز المسـتترة وراء حجـاب الصـداقة، وبـالرغم من أنهم لم ينفكــوا يضــغطون علينـــا، ويلحـــون في الطلب منا أن ننتهز ارتباكاتكم الحالية؛ فنلغي المعاهـدات المقدسة الـتي توثقنا بها مع الأمة الفرنســـية(فنحن بــــرغم ذلك لم نستجب لهم) لأننا نشعر بأنه، في الحرب العامة التي تقومون بها ضد القوات العظمى في أوربا، يكون من المسـتحيل أن لا تقاسـوا بعض المتـاعب والصـعوبات في التحصل على الــذخيرة ، وعلى مــواد أخــرى تعد

من الضـــــروريات الأولية إننا نريـــــد، في مثل هــــذه الظروف، أن نظهر كل كرم أخلاقنــا، وسـعة عواطفنا انتهى من كتــاب "الاســتيلاء على الجزائر " لصــاحبه أسكير" صفحة 18 طبعة باريس سنة 1930.

ولكن كل هذا الإحسان، وكل هـذه العواطف الكريمة النبيلة لم تمنع فرنسا اللئيمة الشــــريرة من أن تواصل محاولاتها الخبيثة لاحتلال الجزائر الوفية الحسنة.

قصة احتلال الجزائر، و ذريعة فرنسا لذلك

تتلخص هذه الذريعة المحبوكة الخيوط الـتي تتستر بها فرنسا، وتستند عليها وتأخذها تكأة تـبرر بها عـدوانها المسـلح على الجزائر المسـالمة في القصة التالية.

سبق أن أشرنا إلى الضائقة المالية والتموينية التي كانت فرنسا تعانيها على إثر ثورتها الكبرى سـنة 1798، ولما تعصبت أوربا كلها ضد فرنسا بادر حسَّـان داي الجزائر بإمـدادها بكل ما تحتـاج إليه من قـروض مالية عينية، ومن حبـوب، وخيـل، وقُنَّب، ومـواد أولية مختلفة؛غذائية وغيرها.

وكان الوسـيط في بعض هـذه المعـاملات اليهوديـان، يعقوب باكري، ومشـيل بوشـناق المتمتعـان بالرعوية الجزائرية.وبمثل ما تغافلت حكومة فرنسا عن إيفائها الديون التي عليها للخزينة الجزائرية،تآمرت من ناحية أخــــرى مع اليهـــوديين ، فــــدفعت لهما أربعة ملايين ونصفا من تلك الديون، ففرَّا بها إلى فرنســا، وتجنس باكري بالجنسية الفرنسية، واستقر بباريس.

وفي حُمَّى اللجاج الذي كان بين الحكومتين، الجزائرية الفرنسـية على تلك الـديون الـتي بلغت 24

مليونا من الفرنكات الذهبية، توفي حسَّان داي وخلفه حفيده مصطفى باشا ، كما توفي هذا الأخير أيضا، وولي بعده الباشا علي خوجة، الذي توفي بدوره بعدما عهد بالولاية لكاتبه ووزيره حسين، فَنُصِّبَ هذا دايا على الجزائر في 27 فبراير سنة 1818. وهو آخر دايات الجزائر، إذْ في عهده كانت الكارثة.

وأدرك حسين باشا تلاعب فرنسا مع اليهوديين في مسألة الدَّيْن فأرسل إلى ملكها شارل العاشر رسالة يطلب منه تسوية الديون، وإيفاءها إلا أنه لم يتلق منه أي رد.

وفي 27 أبريل 1827، ليلة عيد الفطر ، ذهب:"دوفال" قنصل فرنسا في الجزائر إلى الدَّاي حسين باشا ليقدم له التهاني.فكان أن أثيرت مسألة الديون، فسأل الداي القنصل عن سبب تأخر ملك فرنسا برده عن رسالته، فأجابه:" دوفال" في شئ كثير من الاستخفاف قائلا:" إن ملك فرنسا لا يتنازل لإجابة داي الجزائر" فثارت ثائرة الداي، من الاستخفاف وصاح بالقنصل مشيرا إليه بمروحة من ريش النعام كانت بيده، أن أخرج من هنا أيها الوغد ، أخرج فلمست أطراف المروحة وجه:" دوفال" فخرج صاخبًا مُحْتَجًّا.

وكان ذلك، فيما تبديه فرنسا، سببًا كافيًّا لأن تعد عدتها، وتجمع أمرها وشركاءها، وتترقب الفرصة المواتية، لتبعث بجيش جرار دون سابق إعلان حرب لينزل يوم 14 يونيو سنة **1830** بشبه جزيرة سيدي فرج على بعد 24 كيلومتر من الجزائر العاصمة التي سقطت بدورها يوم **5** يوليو سنة **1830**. وأنه لسبب خيوطه أَوْهَى من خيوط بيت العنكبوت ، وأن دعوى

ترضـــية الشـــرف الفرنسي المهـــان في شـــخص القنصــل:" دوفــال" الــذي لمست وجهه مروحة من ريش النعـــام- هي دعـــوى مخيطة بالخيط الأبيض لا تنطلي على أحد ، ولا يمكن أن يكـــون هنـــاك عاقل يصدقها.

حقيقة العدوان الفرنسي مع سبق الإصرار

ولذلك نرى لزاما علينا، إنصافا للتاريخ، وإيضاحا للحقيقة والواقع - أن نقف بالقارئ الكـريم على أصل العامل الذي دفع بفرنسا لاحتلال الجزائر.و لقد سـبق أن أشـرنا إلى محاولاتها الفاشـلة منذ القـرن السـابع عشر غزوها ، و الاســـــــتيلاء عليها ؛ أي قبل حادثة المروحة بِمـائتي سـنة الأمر الـذي لا يـترك لك مجـالا للشك في النية الســـيئة الخبيثة الـــتي كـــانت تبيتها فرنسا المعتدية الظالمة للجزائر المسالمة.

على أن المؤرخين المنصفين من الفرنسيين قد وقفوا بسهولة على حقيقة ذلك الطابع الممـوه الـذي حاولت فرنسا أن تعطيه لسبب الحملة الإجرامية.

فهــذا الســير" روي دفــركس"(Sir Roy deveraux)يقــول في كتابــه:"مظــاهر الجزائــر" "... أنه من المتعذر أن يبرر المرء من وجهة النظر الأخلاقية ، اعتداء أمة متمدينة على إقليم ليس لها".

وأما رجل الدولة النمساوي الشهير:" ميترنيخ" (Metternich) فيقــول:" أنه ليس من المعقــول في شئ أن تصرف فرنسا مائة مليون، وتضـحي بـأربعين ألف رجل من جيشها من أجل ضربة مروحة".

الدوافع الاقتصادية

والعوامل والدوافع التي دفعت بفرنسا على أن تحتل الجزائــر، وتبسط عليها ســلطانها تتلخص - قبل كل شئ- في المطامع الاقتصادية.

وأيُّمَا عملية استعمارية تتم إلا وهي تحمل، أول ما تحمل عملية تجارية تــرمي إلى اســتنزاف خــيرات البلاد المحتلــة، وبسط اليد على مــوارد الــرزق فيها واحتكــار أســواقها، واســترقاق أبنائها لصــالح الغــزاة المستعمرين.

ويصور هذه الفكرة أدق تصوير حاكم البنغال الوطني في مذكرته الـتي يشـكو فيها لإدارة الشـركة البريطانية أساليب عملائها في شـهر مـايو سـنة **1722** إذْ يقول:" أنهم يستخدمون القـوة في الاسـتيلاء على الطيبـات والسـلع من الفلاحين والتجـار بربع قيمتهـا. وهم يرغمـــون الفلاحين وغـــيرهم بأســـاليب العنف والقهر،على أن يدفعوا في البضائع الــتي يبيعونها لهم خمسة أضعاف استحقاقها".

ولقد اتسم القرن التاسع عشر، أكثر من غيره، بــذلك التســابق، بين الــدول الأوروبية والأمريكية إلى استعمار الشعوب والأمم في إفريقيا وآســيا حــتى أنه أصـــبح ينعت"بعصر الاســتعمار"، ومما لا شك فيـــه- تاريخيا وعمليا، واقتصـاديا، أن فرنسا كـانت أكـثر تلك الدول شراهة في الغـزو وبحثا عن الأسـواق لتصـرف منتجاتهـــا، وســـعيا وراء التوسع الاســتعماري وبسط النفوذ والحصول على المواد الأولية ؛لأنها كـانت أكـثر خوفا من غيرها على تجارتها الخارجية بسبب منافسة هولنـدا، وإنجلـترا لهـا،وبسـبب فقـدانها كنـدا والهنـد، وضــياع مصر من يــديها بعــدما كــانت تمــني نفســها بخيراتها،وبالاستقرار في دلتا نيلها.

ولتتضح لنا هذه الناحية الاقتصادية التي دفعت بفرنسا لاحتلال الجزائر-نستشـهد بشـاهد فرنسي من أهلهـا،وهو وكيل العلاقـات التجارية الفرنسـية في " سـفرن"بألمانيـا، كتب يوصي فرنسا بـأن تعمل على غـزو الجزائر قـائلا:"إن الفوائد المادية الـتي يمكن لفرنسا أن تحصل عليهـا، حـتى إذا لم تـدخل في الحساب المائة والخمسـين مليونا الـتي تحتـوي عليها خزينة الجزائر في التقـدير العـام، أجـدى وأنفع للبلاد مما يمكن أن يتكلف اقتصاديا ويستطرد معددا الثروة الطبيعية في الجزائر فيقول:" سـهول طيبة جـدا ذات خصـوبة مدهشة عجيبـة، منـاجم للحديـد، والرصـاص منتجاتها من أجـود وأحسن الأنـواع، جبـال الملح المعدني ، ملح البـارود والملح العـادي يوجـدان تقريبا في كل مكـان وبكـثرة فائقة حـتى على وجه الأرض:انتهى من كتـاب"بداية إمبراطوريـة" صـفحتي 75-76 لصاحبه"إسكير".

على أنه يجب أن لا ننسى، بالنظر هنا، جانب أولئك الأشراف الأثريـاء والنبلاء الـذين جـردتهم ثـورة **1798** من أراضـيهم ومـزارعهم، فهم أيضا لهم اعتبـارهم فيما نحن بصـدده، لأن فتح أراضي جديـدة فيما وراء البحـار لا يمكن إلا أن يسـاعدهم على توظيف أمـوالهم، وبسط سـلطانهم، وإعـادة مجـدهم.ومن هنا فهم يعـدون عنصـرًا مشـجعا على القيام بعملية غزو الجزائر واحتلالها.

ومن الناحية الصناعية كـانت فرنسا في ذلك العهد تعـاني صـعوبات جمة من ناحية عـدم تـوافر المـوارد الأولية لـديها،و يتضح ذلك لـدينا إذا ما نحن

ناظرنا بين الحالة عنــدها وبينها في إنجلــترا في ذلك العهد.

والجدول الذي نثبته أسفل لأثمان القطن سنة **1811** نقلا عن كتـاب:"القضـية الجزائريـة" صـفحة **19** لصاحبه"ن-دوربان-لـوف"يوضح لنا مقـدار تلك الأزمة الـتي تعانيها فرنسا في المـواد الأوليـة، و في ارتفـاع أثمانها بسبب قلتها، و عدم توافرها.

ثمن القطن في باريس	في لنــــدن	في ليـــبزيغ
من قطن البرازيل 1.600 إلى 1640	**230** فرنكا	**268** فرنكًا
قطن الشرق **128** إلى **920**	**570**ً	**900**

****الدوافع السياسية****

استقبلت فرنسا القرن التاسع عشر وهي مطـرودة من كنـدا في أمريكـا، ومن الهند في آسـيا، ومن مصر في إفريقيـا. ثم تتـابعت عليها الهـزائم في أوربا في آخر"العهد النـابليوني" ورأت أحلامها تتحطم في القارة عندما عقد مـؤتمر لنـدن الدبلوماسي على إثر هزيمة "نــــابليون" في "واترلــــو".ومن ثم راحت تحاول استرجاع الصيت المنهـار، والسـمعة المتداعية والســـلطان الضـــائع، والمجد السياسي المفقـــود. فحــاولت أول ما حــاولت لــرد شئ من ذلك مهاجمة أسبانيا، ولكنها ردت على أعقابها خاسئة.

ثم تبدى وظهر لها في الجو مطمح طالما تاقت نفســها إليــه، وتعلقت آمالها ومطامعها بــه، وهو وإن كان بالأمس دونه خرط القتاد إلا أنه يظهر لهم اليــوم من السهولة و اليسر بمكان.

ذلك لأن العرين قد خلا من آساده (كذا)،ولأن الآجام والآكام قد غادرها ليوثها ولأن ثغـور الجزائر قد ارتحل عنها المرابطـــون بهـــا، وبعد عنها أبطالها في رحلتهم إلى الشرق منذ سنة **1827**، بأسطول الجزائر وبقوتها البحرية اللُّجِّيَّة، لنجـــدة الأخـــوة الإســـلامية المستغيثة وللدفاع عن الكرامة العربية والشرقية في محنتها، ولمساندة الأسطولين المصـري والـتركي في تلك المؤامرة الخبيثة، مؤامرة "نافارينو" الـتي تـألبت فيها إنجلترا وفرنسا وروسـيا عليهمـا، وتحـالفت على أن تجعل حدًّا ونهاية للقوة الإسلامية في البحر تمهيدًا للسـطو على الأقطـار العربية والإسـلامية، ووضع اليد على كنوزها وخيراتها مقســمة الأســلاب والمغــانم، مسـتعبدة أبنـاء الفـاتحين الأول وأحفـادهم على حين بغتة من أمرهم.

فهرع الأسطول الجزائري إلى:"نافارينو" مدفوعًا بالحمية العربية ومسـوقًا بـالنخوة الإسـلامية.و هنالك كانت الكارثة، ووقع ما لم يكن في الحسبان؛ إذْ كانت الــــدائرة على الأســـاطيل الثلاثــــة:المصــــري الــــتركي،والجزائــــري ؛فابتلعها البحر بمن فيها من الأبطال الأشاوس.

وفقدت الجزائر بذلك، من جملة ما فقدت من معظم وحدات أسطولها الكبرى وعديد من الوحــدات الخفيفـة،أكـثر من أربعة آلاف جنـدي بحـار هبـوا من الجزائر لنجدة العروبة والإسلام،فلقـوا حتفهم بجـانب إخوانهم المصريين والأتراك، ولسان حالهم ينشد:

ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي.**

وهكذا تبدى لفرنسا، وظهر لها في الجو ذلك المطمح الذي دونه قطع حبل الوريد، وخـرط القتـاد ،

والمســتحيلات الأربــع؛فأعــدت له العــدة وجهــزت له القــوات، واتخــذت للأمر كل الأهبــة، وما يتطلب من الحــذر، ثم راحت تــرقب الأحــداث وتنتهز الفرصــة، وتبحث عن الأســباب الــتي يمكن أن تتخــذها ذريعــة، وعن المعاذير التي يمكن أن تستند إليها.

فكان أن استفز قنصلها:**"دوفال"** حسين باشا داي الجزائر كما قدمنا طبق خطة مرسومة، مدروسة، موعز بها. فنتج عن ذلك حادث المروحة تلك الشعوذة التي طلعت بها فرنسا على العالم مبررة بها إقدامها على الغزو والاحتلال. ولهذه الشعوذة المخيطة بالخيط الأبيض يشير المؤرخ الفرنسي **"هنري جارو"** في كتابه**"التاريخ العام للجزائر"** الذي قرضته الأكاديمية الفرنسية، وأثنت عليه، إذْ يقول بالحرف الواحد:" كانت حكومة فرنسا قد عزمت على أن تضع حَدًّا للقرصنة الجزائرية وأرادت أن تغتنم فرصة مغيب أكبر السفن الحربية الجزائرية في المشرق كي تجد دعوى تبرر بها إعلان الحرب على الجزائر،فأرسلت تعليمات إلى قنصلها(في الجزائر)تأمره بأن يغتنم أية فرصة لإيجاد الخلاف النهائي...".

ومن تلك الــــدوافع السياســـية أيضا لاحتلال الجزائر محاولة "شـــارل العاشـــر" ملك فرنســـا، ومحاولة حكومته-شغل الــرأي العــام الفرنسي بحــرب خارجية يتخلصــان بها من ذلك التــذمر وخنق الــرأي العــام، والزج بالأحرار والجمهوريين في غياهب السجون.

فبوادر" ثورة يوليو" سنة **1830**، أو ثورة الأيام الثلاثة الــتي ذهبت بشــارل العاشــر" وافتكت الحكم والسلطان من فرع"البربون" الأكبر لتنصب بدله على

عـرش فرنسا الفـرع الأصـغر-كـانت قد بـدأت تعصف مزمجـــــرة نائحــــة، مهـــــددة.فكـــــان من سياسة الملك:"شارل العاشر" وحكومته، اتقاءً للأخطار الـتي يمكن أن تسـفر عنهـا،وجـوب الإسـراع بإثـارة حـرب خارجية تلهي النــــاس، وتشـــــغلهم عن مســــائلهم الداخلية.

وكان أن اختيرت الجزائر لتلك الحرب العدوانية بعـــدما تـــبين لفرنسا إبحـــار الأســـطول الجزائـــري إلى"نافـارينو" وخلو الثغـور الجزائرية من مرابطيهـا، ومن أبطالها، وحراسها.

وهناك دافع سياسي آخر لغزو الجزائر.ذلك أن فرنسا كانت في مطلع القرن التاسع عشر من أقـوى الدول الأوربية عسكريًّا،و أكثرها سكانًا وأشدها حرصًا على استرجاع سلطانها الاسـتعماري الـذي فقدته في حــــروب القـــرن الثـــامن عشــــر،وأن تعيد مكانتها العســــكرية الـــــتي تتــــابعت عليها الهـــــزائم في "مصر"،و"روسيا" وليبزيج،في بروسيا " و"واترلو" .

وكان السياسيون الأوربيون يدركون تمام الإدراك هذا الحرص الـذي يعتمل ويتفاعل في نفسـية القـادة الفرنســيين من مـــدنيين وعســكريين.فهم خوفًا من التوسع الفرنسي على حساب القارة الأوربيــة، وعلى حساب أمنها وسلامتها-زينوا لفرنسا في مؤتمر"فيينًّا" ســـنة **14-1815** القيــــام بحملة على الجزائر على أن يساندوها، ويساعدوها ماديًّا وعسكريًّا.

وأصدر المـؤتمر قـراره هـذا بالإجمـاع إذا ما استثنينا بريطانيا التي عارضته.

والسياســـــيون الأوربيـــــون في ذلك العهـــــد،و في مـــؤتمر"فيينًّا" على الخصـــوص،كـــانوا لا يهمهم من

إصـدار قـرارهم ذلك إلا أن يشـغلوا فرنسا في حـرب بعيـدة عن القـارة الأوربيـة،و أن يجـدوا بـذلك مجـالا لنشاط القادة الفرنسيين العسكريين ولرجال الجيش الـــذين كـــانت أســـكرتهم ذكريـــات الانتصـــارات الماضية.ومن ثم فهم ما برحوا يحاولون رد اعتبــارهم في نظر العـالم في ذلك العهـد، و في نظر أنفسـهم أيضًـا حـتى يـبرهنوا من جديد على بـراعتهم الحربيـة، وتفوقهم العسكري، وخبرتهم الإستراتيجية.

وقد تم للجميع ما أرادوا، أما فرنسا فقد زادت اقتناعا بفكرة العمل على احتلال الجزائر؛لأن الفكــرة في حد ذاتهــا، مجــردة من التشــجيع الأوربي الجديد الذي أبداه المؤتمر، قديمة طالما راودتها، ودغــدغتها، و استهوتها إلى هذه الناحية الجنوبية من حـوض البحر الأبيض المتوسط.

ومن هنا زاد اهتمامها بـالجزائر، واسـتعدادها للســطو عليها في مناســبة تعينها ظــروف الزمـــان والمكان. وأما السياسيون الأوربيون فقد نجحوا بـذلك في إبعــاد الخطر عن قــارتهم؛لأنهم يوقعــون لفرنسا على الــوتر المحبــوب الحســاس ويزينــون لها ما في خبيئتها، ويسيلون لها لعابها، ويمنونها بإعادة السلطان والمجـــد، وبداية إمبراطورية جديـــدة على حســـاب الجزائر.

الدوافع الصليبية

على أنه يجب أن لا نهمل هنا بالنظر تلك الدوافع الصــليبية الــتي كــانت تــدفع فرنسا "البنت الكــبرى للكنيسة الكاثوليكية" إلى احتلال الجزائر.

فهي بهذا الوصف الذي أسبغته على نفسها كثيرًا ما كـــــانت تخامرها المطـــــامع في أن تجعل لها من

إفريقيا ما كـــان لروما الزائلة من ســـلطان روحي و اســتعماري، و هي لـــذلك لا تتحـــرج بـــأن تتعهد علنا للعـــالم الكـــاثوليكي بالعمل على " تمســـيح إفريقيا وردها إلى الكنيسة الكاثوليكية".

ولمـاذا نـذهب بعيـدًا وها هو ذا "الـدوق دي كلـيرمونت تـونر " وزير الحربية الفرنســية يثبت في التقرير الذي قدمه لملكه بتاريخ **14** أكتوبر ســنة **1827** ما لا يترك مجالا للشك في نوايا فرنسا الصليبية. فهو يعدد في تقريره كل الاعتبـارات الـتي حملت" شـارل العاشـــرٍ" على أن يســارع دون ما إمهـــال إلى الأخذ بالثـــأرٍ.." من الإهانة الـــتي ألحقت بفرنسا " وبـــأن يضـــمن في نفس الـــوقت " اعـــتراف المســـيحيين بالجميل وذلك بإبادة أشد أعدائهم طغيانا..، ويستطرد قـائلا:" مـولاي لقد قمتم ضد عاصـمة الجزائر بحـرب عادلـــة" (إشـــارة إلى الحملة الـــتي قادها على إثر المروحة الأمـيرال" كـولليت " ضد الجزائر بتـاريخ **16** يونية ســنة **1827** ، وإلى الـــتي قادها الكـــابتن دي فريجـات ديبـوتي _ تـوارس(في **20** أكتـوبر من نفس الســنة)"ولقد قمتم بها وحـدكم ... مـولاي لعلـه ليس من الاحتمال في شيء وليس بدون أهداف خاصة أن تنـادي العناية الإلهية ابن القـدس لـويس ليأخذ الثـأر، وليقتص للـــدين للإنســـانية، للإهانة الـــتي لحقته هو بالـذات... أنه لا توجد دولة كـبرى يمكن أن يكـون لها الحق بـــــأن تملي على ملك فرنسا المعاملة الـــــتي يتخـــذها من انتصـــاره على داي الجزائر إذا ما منحته العناية هذا الانتصار أو أن تعـدل (تلك الدولة الكـبرى) من التعويضـــات الـــتي يمكن أن يطلبها جـــزاء وفاقًا

للتضــحيات الــتي تســببها له حملة هي بعد كل شئ ليست بأقل فائدة لأوربا كلها منها لفرنسا نفسها.

ويجب أن لا نتردد بالقول لأنفسنا بأنه ليس هناك أمن مع حكومة الجزائر إلا بإبادتها كليا.وليس هنـاك يا مـولاي، وسـيلة أخـرى للوصـول إلى هـذا الهـدف إلا بحملة برية اتخذ لها الضمان لنجاحها" فروح الصـليبية هنا ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى من يلفت النظر إليها.

ولنستمع بعد هذا إلى الملك:"شارل"العاشر يــوم **31** ينــاير ســنة **1830** يقــول الشــيوخ و النــواب مجتمعين في جلسة عامة:" أن التعويض الباهر الـذي أريد التحصـــيل عليه ، ترضـــية لشـــرف فرنســـا، يؤول،بإهانة القدير، لصالح المسيحيين".

أما الجنرال:"دي بورمونت" الذي جاء الجزائر قائـــدًا عامًا للحملة فيقـــول في خطابه الموجه إلى الوعاظ من رجال الدين المرافقين للجيش في إحدى المناسبات الدينيــة." لقد جئتم لتعيـدوا معنا فتح بـاب المسيحية في إفريقيا، أننا نأمل بأن تعـود إليهـا(يعـني المسـيحية تعـود إلى إفريقيـا)قريبًـا، لتعمل من جديد على ازدهار المدنية التي انطفأت.

هذه بعض الـدوافع الاقتصـادية، والسياسـية، والصليبية التي حدت بفرنســا، ودفعت بها إلى احتلال الجزائــر.و كل هــذه الــدوافع تــدمغ فرنســا، وتصــمها بالعدوان المبيت المدبر على الجزائر المسالمة.

الحالة في الدول العربية والإسلامية تشجع فرنسا على العدوان

على أنه من المفيد الهام في هذا المقام، ومن المحتم الواجب علينا أن لا نهمل بالنظر الحالة العامة التي كانت عليها الشعوب العربية والإسلامية ودولها في ذلك العهد حتى تجتمع لدينا كل الخيوط، والأسباب، والدوافع،والمشجعات، والمغريات التي جعلت فرنسا تُقْدِمُ على غزو الجزائر غير مبالية بالعالم العربي والإسلامي، وبثورته عليها، بل ولا حتى بالمساعدات المادية والأدبية والعسكرية التي كان من المفروض أن يقدمها للجزائر العربية المسلمة في محنتها، و في ظروف الحرب التي تشنها عليها فرنسا.

والحقيقة أن الحالة في سائر أنحاء العالم العربي الإسلامي كانت لا تبشر بالخير، ومن ثم كانت لا تبعث على التفاؤل.

فهذه الدولة العثمانية قد دخلت في دور الانحلال والفوضى إلى حد أطلق عليها الساسة الأوربيون من أجله اسم" الرجل المريض"،فهي و الحالة هذه لا ينتظر منها أي خير، أو أية مساعدة لأي شعب عربي ، أو إسلامي ، وبالتالي فهي آخر من يمكن أن يخيف الدول الأوربية التي تنهشها،وتتقاسم فيما بينها تركتها.

وأما مصر فقد كانت مشغولة بفتوحاتها العقيمة في الشرق العربي. وهي فتوحات دبرها لها الاستعمار الأوربي، و زينها لها ليستنزف قواتها، ويضعف مقدرتها وإمكانياتها العسكرية والمدنية؛ ليسهل له بعد ذلك أن يستحوذ عليها، ويسقطها في بؤرته دون كبير مشقة، أو كثير عناء.و هذا ما وقع لها بالضبط والتدقيق.

على أن مصر كــانت من ناحية أخــرى في ذلك العهد شبه حليفة لفرنسا.فمحمد علي كان يشعر في قرارة نفسه بأنه مـــــــدين لفرنسا بتوليه ولاية مصر إذْ هي التي عملت بواسطة سفيرها الجنرال"سبستيان" في الأســتانة على تأييد ترشــيحه كــوال على مصر طبقًا لإجماع كلمة العلماء والأعيان، وقادة الرأي في مصر. وأن جهــود"ماثيودلسـبس"في هـذا الصـدد معروفــة، وهي لا تقل عن مساعي بعض المماليك الـذين كـانوا من أصل فرنسي تخلفـــــــــوا في مصر على إثر حملة"نابليون" واعتنقوا الإسـلام وانضـموا إلى حـزب محمد علي، فرجحت بذلك كفته إلى غيره.

والدور الذي لعبه"ماثيو دلسبس"والد فردناند دلسبس" صاحب مشـروع قنـاة السـويس، مع محمد علي ليس بأقل خطــورة على مجريــات الأمــور في مصر من دور"فردنانــد" نفسه مع محمد ســعيد...أما أولئك الفرنســيون المتمصــرون فــدورهم في تــاريخ مصر معروف.

وليس منهم إلا من كان يعمل، ويسعى لإعادة فرنسا إلى مصر وبالتالي إلى احتلال الشرق العـربي. وهكـذا اشـتبهت الحال على محمد علي وكانت على الـذين جـاءوا من بعده أكثر اشتباها و خطورة.

على أن هناك من المؤرخين الفرنسيين وغيرهم من يثبت أن فرنسا كـــــــــانت عرضت على محمد علي،قبيل قيامها بحملتها في ذلك العهــــــد، أن يجهز جيشًــا لاحتلال الجزائر على أن تســند هي ظهــره، و تشد أزره، و تمـــده بمســـاعدات مالية وعســكرية. ويقــول أولئك المؤرخــون أن فرنسا قــدمت بالفعل

لمحمد علي ما لا يقل عن عشرة ملايين فرنك ترغيبًا له في القيام بحملة لاحتلال الجزائر.

والظاهر في رأينا أن فرنسا إنما كانت تحاول بعروضها الوقــوف على نية محمد علي، و على ما إذا كــان يعــارض في أن تمس الجزائر بســوء كائنة من كـــانت تلك الدولة الـــتي يمكن أن يجيء من طرفها ذلك السوء.

ورأينا هذا لا نبنيه على مجـرد عواطف الـدم والقربى، ولا أيضا على تلك الروابط الدينية، واللغوية، والتاريخية التي تربط الجزائر بمصـر، ومصر بـالجزائر .

وإنما نبنيه على أن الجزائر كانت الدولة العربية _ الإسلامية الوحيدة التي شهرت الحـرب على فرنسا سـنة **1798** عنـدما قـاد " نـابليون " حملة على مصر وكانت الجزائر كـذلك الدولة الشـرقية الوحيـدة الـتي خف أسطولها سنة **1827** لنجدة الأسطولين المصـــري والـــتركي في معركة " نافـــارينو" البحرية كما تقـــدم وهاتـان الحادثتـان لم (تنسـاهما) فرنسا على الأقل . ولــذلك أدخلت في اعتبارها ، وفي حســابها أن محمد علي قد يتدخل بقواته لمساعدة الجزائر عنـدما تقـوم فرنسا بتنفيذ خطة الغـزو ردا للـدين الأدبي الـذي هو للجزائر على مصر، ومعاملة بالمثل. وعندما تــبين لها من جس النبض أن محمد علي مشغول بأشياء أخرى أهم في نظـــــــره من كل تلك الروابط على اختلاف أنواعها، الـتي تربط مصر بـالجزائر، والجزائر بمصر _ قـــــــــامت آمنة مطمئنة بتنفيذ خطتها العدوانية على الجزائر دون سابق إعلان حرب وسابق إنذار.

بقي القطران الشقيقان تونس ومراكش. فلكأن فرنسا بتجاهلها لما يمكن أن يقــدماه، افتراضـــا، من المســاندة والمســاعدة للجزائر _ قد وضــعتهما في وضع أقل وأهون من أن يثير مخاوفها أو يشغل بالهـا، أو يلفت نظرهـــا، أو يجلب اهتمامها ومن ثم فهي لن تأخذ أدنى احتيــاط، ولن تقم أقل اعتبــار ولن تحسب أي حساب لأية مساعدة عســكرية، أو مادية يمكن أن تجيء للجزائر من تــونس، أو من مـــراكش أو منهما معا.

بدأ احتلال الجزائر

وهكذا خلا الجو لفرنسا، واجتمعت لـديها كل الأسباب التي جعلتها تقبل على العدوان على الجزائر مع ســبق الأســرار في غــير ما اكــتراث بالعــالمين العربي والإسلامي.

ولقد صدقت الأيـام كل تقـديراتها. فتحـركت جيوشــها الجــرارة من مرسى "تولــون" في جنــوب فرنسا يـوم **25** مـايو سـنة **1830**، ونـزلت في يـوم**14** يونية من نفس السـنة في شـبه جزيـرة سـيدي فـرج على بعد **24** كيلو مـــتر من العاصـــمة الجزائرية طبق خطة مرســومة مدروســة، وضــعها مند ســنة **1818** الصاغ "بوتان" من سـلاح المهندسـين، كـان جـاء إلى الجزائر خصيصا للتجســس، ودراسة أغــوار البحر في هـــذه الناحية المهمل تحصــــينها نوعا مـــا. لأن كل الحملات التي كانت قامت بها أكـثر من دولة من دول أوربا، في العهود الســابقة، على الجزائـر، قد فشـلت أمام العاصمة، فكان لزاما إذن البحث عن جهة أخرى مهجورة يمكن أن تنزل فيها الجيوش في شـيء كثـير من الأمل في النجــاح .ووضع الصـــاغ "بوتـــان" خطة

الغـــــــزو والاحتلال في عهد الإمبراطورية النابليونية على أن تأخذ الجزائر برًّا لا بحرًا.

وهكذا دبـرت الخطة وتـرك أمر تنفيـذها إلى الظـروف المواتية والفـرص السـانحة والـزمن اللائق وهناك في شبه جزيرة سـيدي فـرج التحمت القـوات المعتدية بـالقوات الجزائرية المدافعة عن الشــرف، وعن العروبة ، وحمى الإســلام في هــذه الناحية من العالم العربي الإسلامي.

ودامت الحرب مشتعلة أكثر من ثلاث أربـاع القــرن بين فرنسا والجزائر دون أن يتحــرك أي قطر عــربي، أو تخف أية دولة إسـلامية لمسـاعدة الجزائر ومســـــــــــــــــــــــــــــــــاندتها، ومناصرتها.حتى لكأن القوم كانوا يحسـبون، ويظنـون أن النكبة على افـتراض وقوعها إنما سـتجتاح الجزائر وحدها، وستنزل بها وعليها وحدها.

ولكنهم كانوا في خوضهم يلعبون، وفي غمرتهم يعمهون، وفي تقديراتهم يستخفون ويهزأون.ذلك بأنه لم تمض إلا ســــنوات معـــــدودات على الجزائر في محنتها حتى كان لسان حـال العـرب والمسـلمين في المشرق والمغرب يردد متحسـرا متنـدما تلك الحكمة الخالدة **" أُكِلْتُ يـوم أُكِـلَ الثـور الأبيض"** ولكن، **"ولات حين مندم"**.

والعجيب الغريب أن هذه الظاهرة التعسة ما انفكت طابعًا خاصًـا لشـعوبنا العربية والإسـلامية في القــديم والحــديث أيضــا.فهي بــدل أن تتعــظ، وتأخذ الــدروس من ذلك الماضي البعيـد، ومن هـذا الحاضر المائل اللــذين كــافحت، وتكــافح فيهما منفصــلة عن بعضـــها البعض، مفككة عن نفســـها، فتجمع أمرهـــا،

وتوحد كلمتها، وتنظم صفوفها-فهي بدل ذلك ما تزال سـادرة في انفصـالها وانعزالها وتفككها حـتى لا يكـاد الواحد من شـعوب العـرب والمسـلمين يكـترث بما يجـري خـارج حـدوده، المصـطنعة الـتي وضـعها الاستعمار عملا بقاعدة **" فرق تسد"**.

هذا على أن أعداءنا المستعمرين- على اختلاف أجناسـهم، ولغـاتهم ومللهم-قابلونـا، ويقابلوننا في كل ميـدان موحـدة كلمتهم، مجموعة أمـورهم، منسـقة ضـرباتهم. بينما نقابلهم نحن متفرقين، متخـاذلين، منقسـمين على ما في جانبنا من حق وعدالة وإنسـانية، وما في جـانبهم من ظلم وبطش، وبربرية، وعدوان...

ولم يكن يخطر ببال حكومة الجزائر في ذلك الـوقت أنها سـتغزى من الـبر. ومن ثم كـانت عنايتها بالأسـطول وبقواتها البحرية تأخذ كل اهتمامها حـتى أنه لم يكن لـديها من جنـود الـبر إلا ما يقـرب من خمسة عشر ألفًا من الرجال.

ولذلك نزل الفرنسيون في شبه جزيرة سيدي فـرج دون كبـير عنـاء. وجعلوها هـدفهم الأول احتلال العاصمة التي سـقطت تحت وطـأتهم، وبين مخـالبهم يـوم 5 يوليو سـنة **1830** أي بعد اثـنين و عشـرين يومًا من نزولهم على أرض الوطن الجزائري ، قطعوا أثناء ها أربعة و عشرين كيلومترا.

أول اتفاقية -بعد العدوان -بين الجزائر وفرنسا

وعند حصار مدينة الجزائر أرسل الجنرال "دي بورمونت" القائد العام للقـوات الفرنسـية المسـلحة- إنـذارات متوالية إلى السـلطات الجزائرية لتسـليم

العاصـــمة. وقد وصل الطرفـــان إلى الاتفاقية التالية الـــــتي تم تحريرها في قصر الــــرايس حميــــدو بالأبيار،ووقعها الداي بإمضائه:

الفصل الأول:-على الساعة العاشرة من صبيحة يوم 5 يوليو يسلم إلى الجيش الفرنسي حصن القصــبة، و ســائر الحصــون الأخــرى التابعة للجزائر ومرسى هذه المدينة.

الفصل الثاني:يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لصـاحب السـمو داي الجزائر بـأن يـترك له حريته ، وكل ثروته خاصة.

الفصل الثالث:يستطيع الداي بكل حرية أن يسافر صحبة عائلته وأمواله إلى المكان الذي يختاره. وما دام مقيمًا في الجزائر فإنه يكـــــون تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي، وتقـوم على حراسـته، وحراسة عائلته فرقة من الجيش الفرنسي.

الفصل الرابع: "كل الجنود التابعين"لوجاق" الجزائر يتمتعون بنفس الحقوق المقررة في الفصلين السابقين.

الفصل الخامس" القيام بشعائر الديانة المحمدية بحرية ؛و الحرية مكفولة للســـكان من كل الطبقــــات؛وأن لا يلحق أدنى انتهـــــاك بـــــدينهم، بممتلكـــاتهم، تجـــارتهم،بصـــناعتهم؛و أن الســـيدات مصـــونات محترمــات...وبشــرفه يتعهد القائد العــام بذلك".

الفصل السادس:"يقع تبادل هذه الاتفاقية ممضاة يـوم 5 يوليو قبل السـاعة العاشـرة صـباحًا.و في الحـــال يـــدخل الجيش الفرنسي قلعة القصـــبة ، والقلاع الأخرى بالمدينة".

وهكذا تم لفرنسا ما كانت تتمناه، و تعمل إليه منذ أجيــال. فــدخلت جيوشــها عاصــمة الجزائر من الباب الجديد في أعلى المدينة،و أنــزلت أعلام الدولة الجزائرية وراياتها من الأبــــراج، والثكنــــات، والقلاع، ودور الحكومة؛لترفع مكانها الراية الفرنسية.

وتفرق الجيش الفرنسي في المدينة يسلب، وينهب، وينكل وينتهك الحرمــات والمقدســـات ولما يجف مــداد الاتفاقية الــتي أُبْــرِمَتْ بين الجزائــريين والفرنســيين، والــتي في فصـــلها الخـــامس، يتعهد الجــنرال"دي بورمــونت" "بشــرفه" بالمحافظة على ممتلكات الجزائريين، وتجارتهم، وصـناعتهم، و بـأن لا يلحق أدنى أذى، أو انتهــاك بــدينهم، وبــأن الســيدات الجزائريات مصونات محترمات..

ولقد جـاء في تقرير اللجنة الفرنسـية الـتي شــكلت في نفس الــوقت للنظر والبحث في خــرق الاتفاقية بما وقع من العـــــدوان على الجزائـــــريين، وانتهاك حرماتهم ومقدساتهم-ما لا يترك مجالا للشك في حقيقة تلك الاتفاقية وفي أنها لا تســــــــاوي ثمن المـداد الـذي كتب بـه، ولكـأن لجنة البحث أرادت أن تقلل من أهمية خـــرق الاتفاقية فـــأثبتت في تقريرها بتاريخ **22** أكتوبر سنة **1830**م"بأنه قد وقعت اعتداءات على بعض المنازل الخاصـة، قـام بها رجـال ليس لهم شرف، يندمجون دائمًا بين الجنود".

وسنرى فيما بعد-بمزيد من الهول والـرعب-مقدار تمسك فرنسا بتلك الاتفاقية، ومـدى محافظتها على كلمة الشرف التي تـوّجت بها أكـثر من معاهـدة أُبْرِمت بينها وبين الجزائريين.

على أنه من المستحسن أن نبادر هنا بأن نثبت تلك الأرقـام المدهشة للمبـالغ الهائلة الـتي اسـتولى عليها الجيش الفرنسي من خزينة الدولة الجزائرية في نفس اليوم الذي أبرمت فيه الاتفاقية.فالمؤرخون الفرنسيون يثبتـون بـأن تلك المبـالغ المسـتولى عليها تربو على مائة وخمســـين مليونا من الفرنكـــات(150.000.000)،و بأنه رغم تلاعب ضـــباط الجيش الفرنسي الـــذين أوكل لهم أمر فتح خـــزائن الدولة الجزائريـــة-فـــإن ما أرسل إلى فرنسا من الأمـــوال العينية قد بلغ ثمانية و أربعين مليونا ، وســـــــتمائة وأربعة وثمــانين ألفا وخمســمائة وســبعة وعشــرين فرنكًا(47.684.527) يضـاف إلى هـذا المبلغ الهائل تلك الغنــائم الأخــرى الــتي تشــتمل على ألفين من المدافع(**2000**) المختلفة العيار، وعلى كمية كبيرة من الصـوف والبضـائع التموينية الأخـرى المختلفـة. ولقد قدر الفرنسيون أنفسهم أثمانها بسبعة ملايين فرنــك. فتكــون جملة المبــالغ الــتي أُرْسِــلَتْ إلى فرنســا:(55.684.528). وبهـذه الغنـائم الـتي اسـتولت عليها فرنسا من الخزينة الجزائرية تكون قد اسـترجعت كل نفقـــــات الحملة على الجزائـــــر، وكســــبت:(12.184.528) فرنكًـا.ذلك بـأن تكليف الحملة حـتى عشـــرين أكتـــوبر **1830** قـــدرت بثلاثة وأربعين مليونًا وخمسمائة ألف فرنك (43.500.000).

وهذا مما يثبت أن الجزائر كانت قبل العدوان الفرنسي عليها دولة حـــرة مســـتقلة ذات بـــأس وسلطان...وأن فرنسا عنـدما غزتها لم تجـدها عبـارة عن مجموعات من القبائل الرحل الضاربة في القفـار والصـــحاري و البـــوادي تطلب المـــاء ، وتنشد

الكلأ...وإنما وجـــدتها دولة ذات ســيادة، وذات كيــان مستقل، وحضارة عريقة ماجدة.

ومن هنا لا يسع البـاحث المنصف إلا أن يـدمغ فرنسا بالعــدوان المســلح مع ســبق الإصــرار على الجزائر...بالعـدوان المسـلح الـذي لا تـبرره القـوانين الدولية، ولا تقـره الشـرائع السـماوية، ولا تبعث عليه إلا الوحشية والهمجية، والاستعمار.

الجزء الثاني

نظرة سياسية عامة على القضية الجزائرية بعد الاحتلال

لقد كانت الجزائر إلى سنة **1830** دولة حـرة، مســـــتقلة ذات ســــيادة. وهي الآن وبعد أن ابتليت بالاســتعمار الفرنســي، لم تعد كــذلك. ولقد تعرضت في بحر المائة والخمس والعشرين سنة الأخـيرة إلى أشد الحملات العســـكرية، والإدارية المنظمة تنظيمًا حربيــا، وبوليســيا، وإلى أكــبر الغــزوات والهــزات الفلسفية الموجهة توجيهًا استعماريا وعنصريا.

الإبادة بالجملة،والقتل الجماعي قديمًا وحديثًا

ولقد جـاء عن الجـنرال"بيرتـيزان"، وعن الكردنـــــــــــال:"لافيجـــــــــــــري"؛ وغيرهمــا: أن الجزائر كـانت، إلى قبيل الاحتلال، آهلة بما لا يقل عن سبعة ملايين نسمة.

وورد في كتــاب:"القضــية الأهلية في الجزائر"لصاحبه"كميل برينال "(Camille Brunel) صفحة **52**- أن الجزائر كـان يسـكنها ، في القـرن السـادس عشر ، ثلاثة ملايين نسمة.

وبعد ربع قرن على وجود فرنسا في الجزائر انكمشت الملايين الســـبعة إلى مليـــونين اثـــنين فحســـــب.أما الملايين الخمسة الناقصة فقد أكلتها حــرب التحرير والمقاومة الوطنية من ناحيــة، والقتل الجماعي(Génocide) والإبادة بالجملة من ناحية أخرى.

وورد في نفس الكتاب المذكور أعلاه ، صفحة **144** نقلا عن "الكــونت لوهــون"(Le comte Le Hon) النــائب في البرلمـــان الفرنسي عـــام **1868** ،أن ســـكان الجزائر العرب بلغ تعدادهم سنة **1853**، كما تقول الإحصائيات ثلاثة ملايين، بينما انخفض تعدادهم إلى مليونين ســنة **1865** .أي لقد افتقـــدت الجزائر في ظـــروف اثنـــتي عشــرة ســنة ثلث ســكانها، كما افتقــدت ســنة **1867** مائتي ألف (200.000)نفس.

ولقد حاول بعض المستعمرين أن يعـزو هـذا النقصان، في السـكان الجزائـريين دون سـواهم، إلى المجاعة و النقص في الثمرات. وينسى هذا البعض أو هو يتناسى أن ســـبب ذلك إنما هو في تلك السياسة العدوانية الــتي تــرمي فرنسا الاســتعمارية من ورائها إلى إبادة الجزائريين، واستئصال شوكتهم، وشأفتهم.

ونلفت النظر هنا إلى رسائل"سانت-آرنو"(Saint Arnaud) يصف فيها تلك المجازر، والمـذابح الـتي كـان الجيش الفرنسي يــرتكب آثامها أثنـــاء تقدمه لاحتلال الجزائـــر.ولقد أثبتت دائـــرة المعـــارف الإنجليزية تلك الرســائل، وما جــاء فيها من أهــوال، كما أنها نشــرت في باريس في كتاب خاص يوجد في المكتبات.

هذا على أن فرنسا، في القديم كما هي في الحــديث، كـانت كلما دوى صـوت الحق في الجزائــر،

وكلما ارتفعت عقــيرة الوطنــيين الجزائــريين مطالبة بالحرية والاستقلال-سارعت هي إلى سلاحها المعتـاد، سلاح القمع والإرهاب، سلاح الإفناء و الإبـادة، لتغـرق كل مطالبة قومية في برك من الدموع و الدماء.

وبهذا السلاح بالذات أجهزت يوم **8** مايو **1945** على أكثر من خمسة وأربعين ألف شهيدًا، كـان ذنبهم الوحيد إنهم مع ألوف غيرهم خرجوا، يوم أعلن للعالم أن الحرب مع ألمانيا قد انتهت، في مظاهرات وطنية تطــالب بحرية الجزائر واســتقلالها جــزاءً وفاقا لتلك التضـحيات الجسـيمة الـتي سـاهمت بها الجزائر في الحرب الكبرى الثانيـة، والـتي تجـاوزت خـيرات بلادنا إلى عشرات الألوف من خيرة شبابنا.

ومنذ ذلك العهد تتابعت حملات الإرهاب والإبادة على الجزائريين حتى لا يكاد يخلو شهر أو تمضي مدة دون أن تسيل دماؤهم مدرارًا.

وأن الدماء تسيل اليوم أودية في الجزائر، ومنذ فــاتح شـــهر نوفمـــبر ســـنة **1954** وفرنسا تنقل إلى الجزائر عشرات الألوف من جنودها من ألمانيــا، ومن الهند الصـــينية، ومن وطنها ، ليقـــاتلوا الفـــدائيين الجزائريين، وليقومـوا بعمليـات قمع شـنيعة، وحشـية رهيبة تساندهم فيها القوات المصفحة والطيران.

ولم تقتصر هذه القوات على محاربة الفدائيين، بل معظم فتكها وقمعهـا، وإرهابها موجه إلى النسـاء، والأطفال، والشيوخ، والعجزة والعزل.

وأن ما يرتكبه الجيش الفرنسي اليـوم في الجزائر من مآس وفظائع يفـوق حد التصـور ، وإن ما يجري في المحاكم الاستثنائية الاستعمارية العنصـرية من أحكام الإعدام، والسجن، والتغريم، والتغـريب لما

يـدهش العقـول، ويهز الـرأي العـام، ويجـبر المحافل الدولية أن تجــأر بالشــكوى ، وأن تستصـــرخ فرنسا لتوقفها عند حدها.

إن الجيش الفرنسي قد زج بحشود من الأهالي في كهـوف أحد المنـاجم المهجـورة قـرب قريـة(فم الطوب) بجبال أوراس،ثم أضرم عليهم النــيران حيث ماتوا اختناقا بالدخان، وفي قرى (زلاطو)و (أشــمول) و(يـــابوس) قد امتـــدت أيـــدي الجنـــود الآثمين إلى العذارى ، فانتهكوا حرماتهن ، وجـردوهن من الثيـاب، ثم قتلوهن شر قتلة ببقر بطونهن بالخناجر و الحـراب أمام ذويه.

وأما في جبال القبائل فقد دكت قرى (بلعباس) و(بــــــوخروف) و(تفركاســـــــين) و(الواحـــــــة) و(العناصر)و(الحمـام) بـالمتفجرات دكـا، ثم سـلطت، بمن بقي فيها حي يـــرزق ، قاذفـــات اللهب الـــتي لا تبقي و لا تذر.

ولا نندفع في ضـرب الأمثلة على ما ارتكبته فرنسا في الجزائر، أثناء هـذه الشـهور الخمسة الـتي مضت منذ اندلاع الثورة المسـلحة، في فـاتح نوفمـبر سنة **1954**، من الفظائع الوحشية الرهيبة، ومن أنواع القمع والإرهاب، والتقتيل والتشريد ومن الزج بـألوف الوطنيين في غياهب السجون حيث العـذاب والنكـال والموت البطئ.

ولقد أقر المجلس الوطني الفرنسي، أخـيرًا المشـــروع الـــذي تقـــدم به وزير الداخلية الفرنســـية بإعلان حالة الطوارئ في الجزائر استجابة لقيام حالة حــرب في هـذه الناحية من شـمال إفريقيـا. و أصـبح قانونًا يعمل به منذ فاتح شهر أبريل الجاري.

والغرض من إعلان حالة الطـوارئ هو تجريد حملات عسكرية وبوليسـية تعيث فسـادًا في الأنفس، والأمــوال والممتلكــات وتجعل إرهابها ضد الشــعب الجزائري أشد وأنكى.

وهذا ما يفسر لنا أن فرنسا تحـاول بحملاتها القضاء المبرم على شعب بأجمعـه، كما يوضح لنا في نفس الوقت نفسه أن السياسة الاسـتعمارية المنبعثة في الجزائر هي سياسة إفناء بالجملة وقتل جمــاعي(Génocide). وهي سياسة تقع تحت طائل القـــــــوانين الدوليـــة، وتنتهك حرمـــات ميثـــاق الأمم المتحـــدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكل المواثيق التي أقرتها فرنسا، وأمضتها طائعة مختارة.

محاربة الدين الإسلامي

جاء في الفصل الخـامس من اتفاقية **5** يوليو **1830** ، التي تعرضـنا إليها في الجـزء الأول ،"القيـام بشــــــعائر الديانة المحمدية بحرية ، والحرية مكفولة للسكان من كل الطبقات ، و أن لا يلحق أدنى انتهاك بـــدينهم...إلى آخـــره" وبشـــرفه يتعهد القائد العـــام بذلك".

ولكن لم يمض ردح من الزمن قصير على تلك الاتفاقية حـــــتى ركــــزت فرنسا جهودها في محاربة الإسـلام واللغة العربية لكونهما المقـومين الرئيسـيين للشخصية الجزائريـة، ومعلـوم أن الشـعب الجزائـري إسلامي الدين، عربي اللغة واللسان.

ولقد ابتدأت فرنسا، من اليوم الأول،بوضع يدها مباشـرة على الـدين الإسـلامي وعلى مؤسسـاته في الجزائر؛ففرضت سـلطانها على مسـاجد اللــه، وعلى الأئمة والمؤذنين، والمقـرئين، والمفـتين،وعلى كل ما

له صـــــــــــــلة بالـــــــــــــدين الإســـــــــــــلامي
وأدخلت في الإســـلام ما ليس منـــه، ونصـــبت على المســـلمين، في شـــؤون دينية بحتـــة، من ليســـوا مســـلمين،واســـتولت على الأوقـــاف، والوقف في التشـــريع يقتضي أن الواقف يجعل ملكه غـــير قابل للانتقال ببيع، أو إرث، أو غير ذلك، وحـولت كثـيرًا من المساجد إلى كنائس وكاتدرائيات.

ولقد كان في العاصمة الجزائرية وحدها إلى سـنة **1830** مائة وسـتة مسـاجد (**106**) هـوت اليـوم، وانكمشت إلى ثمانية فحسب .أما الباقي فتسأل عنه فرنسا ماذا فعلت به؟

جاءت الجمهورية الفرنسية الثالثة، فكان من أصـولها فصل الـدين عن الحكومة ليكـون ذلك محققا لكلمة الحريـــة. وكـــان من مقتضى ذلك الفصل أن يكـون عاما لجميع الأديـان، وفي سـائر الأقطـار الـتي ترتبط بفرنسـا، و في إعطـاء النـاس حريـاتهم كاملة في كل ما يتعلق -على الأقل بـــدياناتهم.وفهم الجميع أن قانون **27** سبتمبر سنة **1907** إنما يعـني المسـلمين دون غـيرهم، أو قبل غـيرهم، لأنهم هم الـذين كـانوا محرومين من تلك الحرية.

ولكن الواقع أن ذلك القانون لم ينفذ منه ولا حـــرف واحد فيما يتعلق بالـــدين الإســـلامي ؛إذْ بقيت الإدارة الفرنسـية في الجزائر تتصـرف في المسـاجد وأوقافهـــــا، وموظفيهـــــا، وتقبض بيد من حديد على الوظـــائف الدينية بمثل ما تقبض على كل الوظـــائف المدنية والعسكرية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من تضييق الخناق على الإسـلام والمسـلمين، بل تجـاوزه-كما ذكرنا في

القسم الأول عن الدوافع الصليبية- إلى محاولة تنصير الجزائــــر، وإخراجها عن دائـــــرة الإســـلام.وها هو ذا "الكردنـــال لافيجـــري" يعلن ذلك بكل صـــراحة في برنامجه سـنة **1867** ، إذْ يقـول:" يجب أن نجعل من الجزائر مهدًا لأمة كريمة مسـيحية، وأن نضئ أرجاءها بنور مدنية يكون منبع وحيها الإنجيل، وأن نربط مصير إفريقيا بحياة الشعوب المسيحية، تلك هي رسالتنا".

محاربة اللغة العربية ونشر الجهل والأمية

و على خط مسـتقيم من تلك المحـاولات الشـــــــــيطانية الخبيثة لمسخ الإســــــــــلام والمســـلمين في الجزائـــر-قـــامت فرنسا بسياسة منظمة للقضـــــــــــاء على قوميتنا بمحاربتها اللغة العربيـــة،لغة ثقافتنـــا، و عوائــدنا، و تاريخنـــا، وديننـــا؛ فالمدارس الـتي كـانت تعلّم هـذه اللغة وضـعت تحت إجـراءات شـديدة، وحـتى الكتـاتيب الـتي يُحَفَّظُ فيها القرآن للناشـئة لم تنج من تلك الإجـراءات ؛ فقـانون **24** ديســمبر ســنة **1904** يُكَبِّلهـــا، ويجعلها تحت رحمة رئيس المديرية.

وعندما تبين لفرنسا عجزها التام عن قتل اللغة العربية بإصـــدار القـــوانين الاســـتثنائية الجـــائرة، وبمطـــاردة معلميهـــا، وغلق مدارســـها، ومصـــادرة صحافتها-أصدرت قانون **8** مارس سـنة **1938** الـذي به اعتـــبرت اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية غـــير مبالية بشئ، ولا حتى بـالمواثيق الدولية الـتي تـوجب المحافظة على لغة البلاد، وعلى عوائـــــدها، وأخلاقها ومقوماتها..

إن فرنسا بتضييقها الخناق على اللغة العربية إلى هذا الحـد-لا تعـوض أبناءنا عن تعليمها لهم بتعليم رسـمي فرنسي يسـتوعب كل أطفالنا الـذين هم في سن التعلم، وتحميهم من التشـــــرد والتســـــكع في الشوارع و الميادين العامة، فحتى هذا لم يكفل لهم.

ومن المليونين من أطفالنا الذين هم في سن التعليم لم يســعف الحظ منهم، بإيجـــاد أمـــاكن لهم تـــأويهم في المـــدارس،إلا ما يقـــرب من المـــائتي ألف.والمائتا ألف كثير وأما الباقي وهو جيش عرمـرم فقد ترك للطرقات تتخطفـه، وتفسد أخلاقـه، وتقضي على مستقبله الذي هو مستقبل البلاد.

هذا على أنه لا يوجد طفل واحد أجنبي فرنسيا كـان أو غـيره قد حـرم في الجزائر من نعمة التعلم، والتثقف، ومع هـذا يقـال، ويـذاع في الخـارج ويُصَـدِّق النـــاس أن فرنسا قد جـــاءت الجزائر لنشر العلم، وتثبيت أركـان الحضـارة، وتعميم المدنية ...إن هـذا و الله لقول عجاب.

أوَلا يصح لنا بعد هذا العدوان على ناشئتنا أن نقــول أن فرنسا قد انتهكت بهــذا العمل الإجــرامي: المادة الثالثة والسبعين من الفصل الحـادي عشر من ميثاق الأمم المتحـدة المتعلق بالأقـاليم غـير المتمتعة بالحكم الذاتي.

وإذن فنحن نطلب من الدول الشقيقة والصديقة المحبة للأمن والســلام أن تعمل في الأمم المتحـــدة على حمل فرنسا على أن ترفع بانتظام تقارير سنوية عن حالة الجزائر من الناحية الإحصـــــــــائية، وغيرها كالفنية المتعلقة بأمور الاقتصـاد، والاجتمـاع والتعليم- إلى الأمين العـــام للأمم المتحـــدة طبقًا للمشـــروع

المصـري الـذي أقرته الجمعية العمومية في ديسـمبر سـنة 1949، تحت رقم:334/4. وهو يعطي الجمعية العمومية الحق في تعـيين وتبـيين الأقـاليم غـير المتمتعة بـالحكم الـذاتي الـتي تنطبق عليها المـادة الثالثة و السبعون من الميثاق.

****القضاء الإسلامي و المحاكم الوطنية****

وأما المحاكم الوطنية، والقضاء الإسلامي فقد بترتهما فرنسا منذ الاحتلال؛ فـانتزعت منهما سـائر الجنح، والمخالفات، والجزائيات، والجنايات، والأحكام المالية والمدنية.

ولم تبق للقضاء الإسلامي إلا مسـائل الحالة الشخصية من نكـاح، وطلاق، ومـيراث. على أن هـذه الناحية أيضًـا أمست بفعل إصـدار القـوانين، والقرارات، واللـوائح الإداريـة- أمـرا وهميـا، ذلك بـأن القضاء الإسـلامي بـات حـتى في هـذا القـدر الضـئيل خاضعًا للقضاء المدني الفرنسـي. وأن قـرار 10 أبريل 1834 الـذي يخـول اسـتئناف الأحكـام الـتي يصـدرها القضـاة المسـلمون إلى محـاكم المصـالح المدنية الفرنسية وكل أعضائها فرنسيون مسيحيون أو يهـود وهذا القرار ما يزال العمل جاريا به حتى يومنا هذا.

وكل هذه المحاولات الشيطانية الاسـتعمارية تهـدف إلى مسخ الشخصـية الجزائرية وانـدماجها في الذاتية و الجنسية الفرنسـية. ولـذلك فنحن نستصـرخ العـالم المتمـدين، ونسـتغيث بـأحرار الـدنيا جميعهم وفي مقدمتهم إخواننا الآسيويون-الإفريقيـون، ليقفـوا في جانبنا ضد هذا المصير الأظلم الذي تحاول فرنسا أن تفرضه علينا بقوة الحديد والنار فرضًا.

**** الميدان الاجتماعي****

إن الجزائر لم تعـرف حـتى اليـوم إصـلاحات اجتماعية كتلك الــتي يتمتع بفوائــدها الأوربيــون في بلادنـــا، أو كـــالتي تتســـابق إليها ســـائر الشـــعوب المتحضـرة ، والأمم المتمدينـة، لسـبب واحد وهو أن فرنسا لا تريد للجزائر ذلك النـــوع من الإصـــلاحات الاجتماعية.

فشيوخنا العجز، و ذوو المعوزات، واليتامى من أبنائنا الفقراء، والعائلات التي ليس لها من يعولها، ولا من ينفق عليهـا، كل أولئك محرومـون من مـيزات الإصلاحات الاجتماعية التي تسن وتشرع لصيانة الأمم من التلف والضـياع، ومن تفشي الأوبئة والأمـراض الحسية والمعنوية بين طبقاتها. ولقد ورد في تقريـر" شـــارل ليفي(Charles Lévy) المقـــدم إلى لجنة الإصــلاحات الإســلامية في الجزائر بتــاريخ يــوم **19** فبراير سنة **1944**:" أن القسط المتوسط من وحـدات المســعر(Calories) الـــتي تعطى للنفر الواحد من الطبقـات الشـعبية الجزائرية هو (345.500) سـعر حـراري سـنويا بينما لا يقل ما يأخـذه الأوربي الواحد في الجزائر في نفس الـــوقت عن (**1.572.000**) سـعر حـراري (Calories). يضـاف إلى هـذه الكارثة مسـألة المسـاكن الـتي لم تعتن بها فرنسا قط و لم تعر لها أية أهمية ، أو أدنى اعتبار.وأن ازدياد السـكان قد زاد هـذه المشـكلة تعقيـدًا وخطـورة،و أدَّى إلى انتشـار تلك الأكـواخ الـتي تُسَـمَّى عنـدنا "بمـدائن الصفيح"(Les Bidons-Villes).وأن سكان هذه المدائن لا يقلون عن نصف مليون".

ولقد أدَّى هذا الإهمال إلى انتشار مرض السل في أكـــواخ القصـــبة بمدينة الجزائر وفي " مـــدائن الصفيح".

ولقد صـرح الأسـتاذ" ليفي فلانسـي"(Le phtysiologue-Lévy-Valensi) في محاضـــرته الـــتي ألقاها يـــوم **14** مـــايو ســـنة **1946** في مدينة الجزائـــر"بـــأن الخسائر الرهيبة التي يلحقها مرض السل بالمسلمين في الجزائر تفوق الخسـائر الـتي يلحقها بالفرنسـيين في فرنســـا.وأن المصـــابين بالسل في الجزائر يبلغ عـــددهم كما تقـــول الإحصـــائيات (**400.000**)بينما المصـابون بنفس المـرض في فرنسا لا يزيد إلا قليلاً عن ذلك العـــدد مع العلم بـــأن ســـكان فرنسا أربعة أمثال سكان الجزائر.

وهكـذا تتجلى لنا السياسة الاسـتعمارية في الجزائر في أحلك مظاهرها، وأسود خططهـــا، وأخطر عواقبها.

**** مأساة الأراضي الزراعية،واغتصاب ممتلكات الجزائريين****

تقول اتفاقية **5** يوليو سنة **1830** التي تعهَّدَ فيها الجنرال:"دي بورمونت" باحترام المستعمرين لســـائر طبقات السكان، وبـأن لا يلحقـوا أدنى أذى أو انتهـاك بدينهم أو بممتلكاتهم ، أو تجـارتهم، أو صـناعتهم ،إلى آخره...

ولكن لم يمض شهران فحسب على ذلك التعهد الفرنسي حتى باتت تلك الاتفاقية حـبرا على ورق، إذْ امتدت الأيدي الفرنسية إلى كل شئ بمقتضى قـانون **8** سبتمبر **1830** الذي يخول لهم وضع اليد على كل ما

يريدونه أو يطمعــون فيــه...و يا ما أكــثر ما يريــده الفرنسيون ويطمعون فيه في بلاد تصاب بويلاتهم.

و بمقتضى قانون **31** أكتوبر سنة **1844** ، وقانون **21** يوليو ســـنة **1846** اغتصـــبت فرنسا من أيـــدي الجزائــريين أجــود الأراضي الزراعية الســاحلية.و قد قدر ما اغتصبت في مقاطعة الجزائر وحــدها بما يزيد عن ثمانية وســـبعين ألف هكتـــار (هكـــذا:**78000**)، والمعروف أن الهكتار الواحد هو عبـارة عن فـدانين و نصف الفدان تقريبًا.

أما قانون **16** يونية سنة **1851** فقد خول " للدولة الفرنســـية" أن تبسط يـــدها على مليـــونين من الهكتارات بالإضافة إلى جميع الغابات في الجزائــر..و قانون 23 أبريل سـنة **1863** جـرد الجزائـريين بما قُـدِّرَ بمليـــون وثلاثة آلاف هكتـــار وكســـور (هكـــذا **1.003.072**) وعلى إثر ثــورة المقــراني وضــعت فرنسا يـــــــدها باسم القمع على (**2.500.000** هكتار).

واستمرت حُمَّى الاغتصاب، وإجبار الجزائريين على الانســحاب من الأراضي الزراعية الجيـــدة إلى الصـحاري والجبـال أمـام المعتـدين الغاصـبين بـذلك المعــدل حــتى أصــبح في يد فرنســا، وبيد أعوانها المســــــــتعمرين ما لا يقل عن ثلاثة عشر مليونا وخمسين ألف ومائتين وواحد وخمسين هكتـارا(هكـذا 13.250.251) من مجموع عشرين مليونا و ثمانمائة ألف و كسور(20.813.251) هكتارا.

وبمعنى هـذا بالخط العـريض، وبلغة الأرقـام والإحصـــائيات الرســـمية أن جالية الفرنســـيين و المتفرنسين الـذين أتت به فرنسا إلى الجزائر لزيـادة

سـواد الأجـانب، وعـددهم جميعًا لا يتجـاوز (**850000**) نسـمة ، يملكـون ما لا يقل عن **64**%ـ من أراضـينا والبـاقي و هو نسـبة36%ـ مقسم على الوطنـيين العرب- المسلمين الذين هم أكـثر من عشـرة ملايين نسمة تعـدادا..و ذلك كله بحكم الحديد والنـار، وبحكم القوة و الغلبة.

و بحكم سياسة عريقة في الإجرام تهدف إلى إبـادة الجزائريين على طريق تفقيرهم ، ونشر المسغبة في ربوعهم..

الحالة الاقتصادية

و بجانب مأساة الأراضي الزراعية، وانتزاع أملاك الوطنيين لصـالح المعتـدين طبقت فرنسا علينا وعلى بلادنا سياسة اقتصادية تهدف لقتل الصناعات الوطنية الـتي كـانت قبيل الاحتلال مزدهـرة في الجزائر قائمة بـذاتها...فضـايقت أول ما ضـايقت الصـناعات اليدوية وخاصة منها صـــناعة النحـــاس، والجلـــد، والفضة والـذهب، والحياكـة؛ والصـناعات المنزليـة؛ والحربية والبحرية الـتي شـهد المؤرخـون الأجـانب على أنها بلغت حـدًّا من الإزهـار وحسن الإتقـان، والجـودة ما بلغته في أرقى شعوب أوربا في ذلك العهد.

وكـذلك القـول عن التجـارة من تصـدير، واستيراد...إذْ كل هذا بات في أيـدِ أجنبية لا يهمها في كثير أو قليل المصير الاقتصادي للشعب الجزائري.

وهكذا أصبحت الجزائر عبارة عن فيـالق من السخرة في يد المسـتعمرين يسـخرونه ويسـتغلونهم طبق أهـوائهم، ومصـالحهم، وحاجـاتهم كيفما شـاءوا، وحيثما شاءوا وأنَّى شاءوا دون أن يعترفوا لهم بـأدنى حق اجتماعي، أو ثقافي، أو نقابي، أو"بروليتاري".

والعامل الجزائري ليس هو في نظر الاستعمار، بأكثر من عبد مسخر لخدمة المسـتعمرين، بل هو آلة يمتلكها المســـــتعمر كما يملك الأرض والأشـــــياء ويستغلها سواءً بسواء.

وهذا كله يجري ويقع مع قيام، ووجود منظمة العمل الـــــدولي، وبمـــــرأى ومســـــمع من قادتها والمشـرفين عليهـا. وإنه لتحـدٍّ لميثاقها الـذي يحـارب السخرة في مختلف أنواعها وجميع صـورها، ويحـارب اسـتغلال العمـال، واسـتعبادهم، ويعمل على ضـمان حقوقهم، و الدفاع عنهم.

ولكن فرنسا، مع كل هذا، لا تقيم وزنًا لذلك، ولا هي تعبأ بمقدرات الشعوب، ومصائر الأمم؛ ولا تحترم المواثيق الدولية التي تتوثق بها عن طواعية واختيار.

انتهاك الحريات الديموقراطية في الجزائر

كنا -نحن الجزائريين على الأقـل- نحسب أن الملايين العديـــدة الـــتي لقيت حتفها في الحـــرب الأخيرة، وفي التي قبلها، دفاعا عن الحرية، والكرامة الإنسانية- ستعلم دول الاستعمار كيف تحترم حريـات البشر، وتقدس كرامة الفرد، وتعترف للشعوب بحقها في تقرير مصيرها دون ما نظر إلى جنس، أو لون، أو معتقد.

ولكن لم تكد الحـرب تضع أوزارهـا، ولم يكد الشـــعب الجزائـــري يرفع عقيرته مطالبًا بحريتـــه، واسـترجاع سـيادته- حـتى طلعت فرنسا على بلادنـا، كما طلعت على الشـــعوب الأخـــرى المنكوبة بهـــا، المبتلية باسـتعمارها، بـأكثر ما يمكن أن يتصـور من الفواجع الكئيبـــة، ومن الظلم والعـــدوان، وحرمـــان الناس حتى من الحريات البدائية الأولية.

وعلى هذا النسق توالت على بلادنا النكبـات والمصائب، فكانت حوادث 8 مايو 1945 التي أبـاد فيها الفرنســيون أكــثر من خمسة و أربعين ألف شــهيد جزائري.
وتبعتها حـــوادث أخـــرى دامية كثـــيرة، يـــرمي المستعمرون من ورائها إلى إلقاء الرعب في صفوف الوطنــيين الجزائــريين، واختلاق الحجج الملفقة لحل الحركات القومية وإلقاء القبض على القادة والزعماء والمناضــلين، وتعطيل الصــحف، وإخمــاد كل حركة تطالب بحرية الجزائر استقلالها.

وهكــذا انعــدمت في الجزائر الحريــات الديموقراطيــة، فالصـحافة ملجمة مغلولة أو معطلة مشـــلولة، والأحـــزاب السياســـية إما منحلـــة، أو هي تحت رحمة القــوانين الاســتثنائية العنصــرية، وحرية القـول والاجتمـاع مفقـودة معدومـة. والنـاس لأبسط الأمور وأتفه الأسباب يُسـاقون إلى السـجون، ويقدمون إلى المحـاكم حيث تـوزع الأحكـام القاسـية عليهم توزيعًا.

والمشـكلة في الحقيقة بين الجزائر وفرنسا ليست فحسب مشكلة سـجين ظلم فيطلق سـراحه، أو نـاد غلق فيعـاد فتحـه، أو صـحيفة عطلت فـترد لها حريتها أو حــزب سياسي حل فيعــترف له باســتئناف نشــاطه، أو زعيم أبعد فــيرفع عنه الحجــر...ليست المشــكلة أيضًــا بيننا وبين فرنسا مرهونة بإصــلاحات اجتماعية ترميمـــــــــات اقتصـــــــــادية، أو تهدئة لخـواطر وقتيـة. وإنما المشـكلة هي قبل كل شئ مشكلة سياسـية مرتبطة بالحرية تـرد كاملة إلى الشــعب الجزائــري من أقصــاه إلى أدنــاه ومقيــدة

بالاســـتقلال التـــام تأخـــذه الأمة الجزائرية المتمتعة بجميع مميزات السيادة.

إن المسألة بيننا وبين فرنسا باتت مسألة زمان؛ ونحن إن لم ننتصر في الغد القــريب فســوف ننتصر في اليوم الذي يليه، وأن الاستعمار قد حكم عليه في سائر أنحاء الدنيا بالفشل، والخسـران المـبين، وهـذه حقيقة لا تشك فيها حـــتى فرنسا نفســـها. و لهـــذا فالواجب يقتضيها أن تغير أسـاليبها الاسـتعمارية، وأن تنظر إلى ســـــــــــــائر الشـــــــــــــعوب والأمم بنظـــرة أخـــرى جديـــدة يمليها عليها التعـــاون الإنساني، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، والعيش المتجاور في أمن، وتصاف، وسلام.

و أن الشـعب الجزائـري قد صـمّمَ على أن يسترجع حقّه في الحياة الحرة العزيـزة الكريمة كلفه ذلك ما كلفه.

وهو لذلك يهيب بالشعوب والحكومات الشقيقة، والصــديقة وبــأحرار الــدنيا جميعهم ليقفــوا معه في كفاحه من أجل حريته، واستقلاله ومن أجل"جمهورية جزائرية ، ديموقراطية،اشتراكية ، كاملة السيادة".

الجزء الثالث

القضية الجزائرية من وجهة النظرة القانونية

تعرضنا في الجزء الأول صفحة 2،و 3،و4 إلى وضـــــعية الجزائر الدولية قبل الاحتلال الفرنســـــي. وأثبتنــا، بما لا يــترك مجــالا للشــك، أن الجزائر كـانت قبل العدوان الفرنسي عليها سـنة **1830** دولــة، حــرة، مستقلة، ذات سيادة.

ونثبت هنا تطـور التشـريعات الفرنسـية في الجزائر لنقف على حقيقة تلك الفرية الاســــــتعمارية التي تحاول أن تقنع الناس" بأن الجزائريين مواطنون فرنســيون" ومما يجب لفت النظر إليه هنا أن فرنسا لم تحصل من حكومة الجزائــر، و لا من شــعبها على أية وثيقة يمكن أن تســتند إليها فيما يمكن أن تــذهب إليه في ادعاءاتهـــا. فـــالجزائر لم ترتبط بفرنسا بأية وثيقـــة، أو اتفاقيـــة، أو معاهـــدة ، أو عقـــد- تتنـــازل بمقتضـاه لفرنسا عن سـيادتها الكاملـة، أو عن جـزء منها.

كما أن فرنسا لم تأخذ رأي الشعب الجزائري قط في كل ما ذهبت إليه، ولم تستشـره في النظـام الذي تطبقه عليه. ولـذلك كـانت كل الإجـراءات الـتي اتخذتها فرنسا في الجزائر من جانب واحد.

و أن التشريعات الفرنسية المعمـول بها في الجزائر منذ سنة **1830** قد بـنيت على ما تدعيه فرنسا من حق الفتح ، حــــتى لكـــــأنّ الجزائر في المنطق الفرنسي لم تكن إلا عبــارة عن قبائل رحل لا يكـــاد يستقر لها قرار ، أو عبارة عن شعب تسوده الفوضى و الهمجية ، و تسوقه الفردية و تتحكم فيه.

و لقد كانت تلك التشـاريع - من وجهة النظر القانونيـــة- عبــارة عن تــاريخ لمراحل بسط النفـــوذ العسكري على القطر الجزائري، لا لشئ، آخر غيره. وما تجدر الإشـارة إليه أن" الأمر الملكي الصـادر في **22** يوليو **1834**"____________ والـــرامي إلى جعل الجزائــر" الإقليم المحتــل" مُلْكًا فرنســيا"-قد اتخــذ، كما يفهم من تاريخه في المرحلة

الأولى من مراحل الاحتلال، نتيجة لتقرير لجنة كـــانت جاءت الجزائر في **1833.**

وإذن فكل ما ترتب من النظم و القوانين عن ذلك الأمر الملكي الـذي بقي معمـولا به حـتى سـنة **1946** -يعد لاغيا ، وغير ذي موضـوع لسـبب واحد وهو أن الأمر قد اتخذ قبل استســلام الجيش الجزائـــري، وقبل أن تأتي عمليات الاحتلال الحربية على المقومة الجزائرية بخمسين سـنة. فكيف تُشـرِّعُ فرنسا لإقليم لم يدخل بعد تحت حكمها ؟

وكيف يمكن لها أن تطبق قوانينها على بلاد ليست في حوزتها؟.

على أن هـــــذا لم يمنع فرنسا بمقتضى أمر **22** يوليو ســـــنة **1834** من أن تجعل الجزائر تابعة من الناحية الإدارية إلى وزارة الحرب ، وبقيت كـذلك حـتى سـنة **1871** تُدار بالأوامر الملكية التي يتخذها الملك متجاوزا سلطات البرلمان.

وهذا مما يفسر أن القوانين التي كانت تطبق في الجزائر في ذلك العهد مســــــــتقلة تماما عن القوانين المركزية.

وإن كان أمر **22** يوليو **1834** ينص فصله الأول على أن الإقليم الجزائـــري الملحق يخضع لتشــــريع الأراضي الفرنسية الملحق بها. وأن طابع هذا الإلحاق قد حدد بعدة قوانين أساسية أهمها:

1. قانون **4** مارس سنة **1848** ، الـذي ينص على " أن الجزائر قطعة متممة لفرنسا.
2. مرسوم مجلس الشيوخ الصادر يـوم **14** يوليو سـنة **1865** ، وينص في فصله الأول على " أن الجزائريين المسلمين فرنسيين".

3. مرسوم 24 أكتوبر ســنة 1870 وهو يعلن أن الجزائر تكون ثلاث مقاطعات فرنسية.
4. مرسوم 29 مارس سـنة 1871 وهو يعين حاكما عاما مـــــدنيا على الجزائر تحت ســـــلطة وزير الداخلية الفرنسية.
5. وقانون 19 ديسـمبر سـنة 1900 الـذي يجعل المالية الجزائرية مســتقلة عن المالية الفرنســية، ويَكَــوِّنُ النيابـــات المالية الـــتي شـــارك فيها المســـلمون الجزائريون فيما بعد بنسبة (21 مسلما من 69 نائبًا)
6. قـــانون 4 فـــبراير ســـنة 1910 وهو يعطي صـــفة المــواطن الفرنسي إلى الجزائــري بواســطة قاضي الصـلح فيما إذا تخلّى الجزائـري عن حالته الشخصـية الإسلامية.وهذا القانون يعطي للمسـلمين الجزائـريين ربع مجالس نواب المديريات، وثلث مجالس البلديات ، دون أن يعطيهم حق المشـــاركة في انتخـــاب عُمد المدن ونائبيهم.
7. قرار 7 مارس سنة 1944 وهو يعلن بـأن المسـلمين الجزائـــــــــريين فرنســــــــــيون... ويرفع نسبة تمثيل المسـلمين في المجـالس المحلية إلى 2/5.(اثنان على خمسة)
8. قـــانون 7 مـــارس ســـنة 1946 المســـمى بقـــانون **طلامين -جيط** وهو يعطي صفة المواطنة الفرنسية إلى الرعايا الفرنســـيين فيما وراء البحـــار ، وينطبق على الجزائر.
9. ثم جاء دستور 27 أكتوبر سـنة 1946 الفرنسي ليضع حدًّا لنظام القوانين بتصـريحه:" أن المجلس الوطـني هو وحده الذي يقـترع على القـوانين، ولا يجـوز له أن يـــنيب الغـــير للقيـــام بـــذلك.هـــذه أبـــرز القـــوانين،

والمراســـــيم في عمومها وإجمالها وإننا لا نـــــدري أأصحبنا بمقتضاه بحق ، فرنسـيين؟ و هل الجنسـيات القومية بلغت هــذا الحد من الهــوان بحيث يكفي أن يصـــدر المشـــرع الفرنسي قانونـــه، أو مرســـومه للتلاشـــي، وتصـــبح أثر بعد عين، وحكاية تاريخية يعد واقع حي يسعى؟.

أما نحن -الجزائريين-فإننا لا نصدق شيئا من ذلـك.ولا نخـال فرنسا إلا هازئـة، عابثـة، ماجنـة، وإلا فبحكم مـــــــاذا أصــــــــبحنا فرنســـــــــيين؟ وأصـــبحت الجزائر العربية المســـلمة، ذات التـــاريخ الطويل العريض، فرنسية؟.

إن كل ما أصدرته فرنسا من قوانينها ومراسيمها قد صدر من طـرف واحـد؛ فهي لم تستشر فيه الأمة الجزائرية لا من قـــريب ولا من بعيـــد، ولم تأخذ فيه برأيها.

ولذلك فنحن نسمى هذه الحالة التي يُشَرِّعُ فيها الغـالب القـوي للضـعيف المغلـوب بالحالة الشـاذة المفروضة علينا فرضًا دون أن نطلبها، أو نرغب فيها. وهي حالة مفضوحة أرادت فرنسا أن تضلل بها الرأي العام الدولي مثلما حاولت أن تُغَـرِّر به عنـدما طلعت عليه منذ إحـــدى عشـــرة ســـنة بفرية**"الإتحـــاد الفرنسي"**.

إن فرنسا تقـول أن الجزائر عبـارة عن ثلاث مقاطعـــات فرنســـية فيما وراء البحـــار. وتنسى أن مقاطعاتها المركزية لا يـديرها حـاكم عـام، وهي ليس لها دستور خاص يجعل مقاطعـات الشـمال مثلا-تتمتع بشخصـية مدنيـة، واسـتقلال مـالي يخـالف النظم ، و القواعد المطبقة على مقاطعات الجنوب...

إن المواطنين في أي شعب من شعوب الأرض، أو في أية دولة من دول العـالم هم أمـام القـانون متكافئون متساوون في الحقوق والواجبات؛ الواحد منهم لا يساوي إلا واحدا مثله من سائر إخوانه المواطنين.

وأما في الجزائر فالمواطن تنظر إليه فرنسا بنظرة التمييز العنصري؛ فإن كان من" النوع الجديد" ذي الأرومة العربية الإسلامية فهي تعامله معاملة تخالف تمامًا تلك المعاملة التي تحتفظ بها للمواطن ذي الأرومة الأوربية المسيحية، أو اليهودية. والمواطن الثاني الواحد يساوي عشرة مواطنين من النوع الأول الجديد.

ونشأ عن هذه النظرة **" الديموقراطية الفرنسية"** العنصرية إن كانت نسبة تمثيل الجزائريين في المجلس الجزائري مماثلة لنسبة غيرهم من الفرنسيين في نفس هذا المجلس بينما عدد سكان الجزائر من العرب المسلمين عشرة أمثال الأوربيين فيه.

وهذه النسبة التمثيلية تنخفض في المجالس البلدية إلى الْخُمُسَيْن في جانب الجزائريين.وهذا مما يجعلنا نتمسك بالقول أن القوانين الفرنسية تفضح نفسها بنفسها.ما دام لا وجود لمثل هذا التمييز بين المواطنين الفرنسيين في المقاطعات المركزية.

إن النظم الاستعمارية التي أكره عليها الشعب الجزائري تستمد براهينها من تلك القاعدة الحيوانية، وهي أن الحق للأقوى. ومن هنا يتضح أن الإدعاء الاستعماري بأن الجزائر ثلاث مقاطعات فرنسية هو ضرب من الغش والتضليل والبهتان. ذلك بأن الواقع،

والحقــائق، والقــوانين الفرنســية نفســها تدحضه و تســفهه؛ فــإن ما يطبق من التشــريعات الفرنســية مبني-رسميا- على أسـاس عنصـري بغيض من وجـود طبقـتين:سـادة ومسـودين؛ ونـوعين من المواطـنين: أعلى، وأدنى؛
ومكتــبين انتخــابيين لا يمتزجــان:أهلي وأوربي. وأنها لتشريعات ونظم تصرخ وتشهد بتكـذيب تلك الـدعوى الــتي تحـاول أن تجعل من الجزائر العربية المسـلمة أرضا وإقليمًا فرنسيا.

على أن وجود حاكم عام للجزائر؛ ووجود مجلس جزائــري خــاص؛ واســتقلال مالية الجزائــر؛ وإدارة شؤون الدين الإسلامي من طـرف الإدارة الفرنسـية، وتقســـيم القطر إلى منطقـــتين مدنية شـــمالية، وعسكرية جنوبية؛ وبسط يد السلطة العسـكرية على ثلثي القطر؛ ووجود حواجز جمركيـة، ومالية بحيث أن الفرنك الجزائري لا يُتَعَامل به في فرنسا، ومثابته في ذلك مثابة أية عملة أخـــرى أجنبيـــة.كما أن الفرنك الفرنسي ليس له مجــال في الجزائــر، إن كل ذلك أدلــة، و وقـائع على أن الجزائر ليست فرنسـية، وأن الجزائريين إن هم إلا عرب لهم شخصـيتهم الجزائرية التي كونتها جغرافية بلادهم، وصهرها التاريخ بحوادثه، وميَّزَها عِلْمُ السلالات البشـرية، وطبعتها كيفية تفكـير الجزائـــريين، ونظـــرهم إلى الأشـــياء ، ثم بلورها أسلوبهم في الحياة. وإذن فيجب أن لا نهمل كل هذه الأشـــياء الـــتي تعد بحق من مقومـــات الأمم، ومشخصـات الشـعوب عنـدما نريد أن نتأمل القضـية الجزائرية بحــق، وصــدق، وإخلاص. لو كــانت فرنسا تعتقد في قرارة نفسها أن الجزائـريين فرنسـيون لما

غلقت في وجـــوههم كل الوظـــائف العليا ،وســـدّت أبـواب بعض المـدارس الفنية والإسـتراتيجية. ولكـان الجزائريــون مثل غــيرهم من الفرنســيين في مراكز ذات بـال في البحريـة، وسـلاح الطـيران، والكليـات الحربية، و القيادات العسكرية.

وإذا كانت الجزائر تكون ثلاث مقاطعات فرنسية فيما وراء البحـــار فلمـــاذا تشـــترط فرنسا شـــروطًا وإجراءات على السواح الأجانب، وخاصة منهم إخواننا عــرب المشــرق، الــذين يطلبــون زيــارة الجزائر لا تشترطها على من يزورون المقاطعـات المركزية في الجنوب والشمال وفي الشرق والغرب؟

وخلاصة القول:أن الجزائر ليست بامتـداد لفرنسا، و لا هي جزء منها وسواء في ذلك وجهة نظر القانون الدولي، ووجهة نظر القانون الفرنسي نفسه.

نداء إلى المؤتمر الأسيوي الإفريقي في باندونج

إن الحقائق العلمية، والجغرافية،والتاريخيـة،واللغويـة،والدينية الـتي جـادت للجزائر شخصـيتها الممـيزة لهـا،وذاتيتها الخاصة بهـا- تستصرخ المؤتمر الأسيوي الإفريقي والعـالم أجمـع،و تهيب بـالمؤتمرين،وبالضـمير العـالمي وتناشد العائلة الدولية بــأن يقفــوا جميعًا في جــانب الجزائر إلى أن تتركها فرنسا لشأنها تقـرر مصـيرها، وتعـالج أمورهـا، وتساهم في بنـاء عـالم جديد يسـوده الإخـاء والرخـاء ويرفرف عليه السلام، والأمن.

القـــــــــــــاهرة في **14** شـــــــــــــعبان **1371**
الشاذلي المكي

7 أبريل 1955 عن جبهة تحرير الجزائر

36 شارع شريف بالقاهرة

الإمضاء الشاذلي المكي.

الصور والملاحق:
أولا:صور تاريخية
ثانيًّا:نماذج من تقرير حكومة الجزائر العامة للرد
على نشاط الشاذلي المكي بالقاهرة.
ثالثًا: صور من مذكرة جبهة تحرير الجزائر إلى مؤتمر باندونغ



صورة تجمع الشاذلي المكي مع الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي ووجوه المرحلة بالقاهرة



صورة تجمع
الشاذلي المكي بزعيم ثورة الريف
الأمير عبد الكريم الخطابي



صورة للأستاذ الشاذلي المكي مع الزعيم علال الفاسي
والفنان أحمد وهبي



صورة نادرة تجمع الرشيد إدريس من تونس، علال الفاسي من المغرب، الشاذلي المكي من الجزائر بوزير خارجية باكستان ظفر الله خان بالقاهرة.



الشاذلي المكي من خلف وهو يستقبل وفد المعتقلين الخمسة
ويظهر بن بلة ومن خلف الشاذلي طائرة الخطوط الجوية العراقية



الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مع الفنان أحمد وهبي

الفهرس العام

الجزء الثاني